تفسير القرآن الكريم



تفسير جزء عمّ

بقلم
سليمان بن محمد اللهيميد
السعودية - رفحاء



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد

فإن دراسة القرآن الكريم وتفسيره واستخراج فوائده وأحكامه من أفضل العلوم وأشرفها، لأنها تتعلق بكلام الله تبارك وتعالى، وقد قمت بتفسير القرآن الكريم سائلاً المولى عز وجل أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وقد كان عملي في هذا التفسير ما يلي:

أولاً: اعتمدت في شرح الآيات على بعض كتب التفسير الموثوقة مثل: تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير الشيخ السعدي، وغيرها من كتب التفسير الموثوقة.

ثانياً: جعلت بعد كل مقطع من الآيات فوائد إيمانية وتربوية تستنبط من الآيات.

وهذا الكتاب يتضمن تفسير جزء عم كاملاً.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

أخوكم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية - رفحاء



سورة النبأ

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾.

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١)) أي عن أي شيء يسأل كفار مكة بعضهم بعضا .

(عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢)) أي يتساءلون عن الخبر العظيم المفظع الباهر.

وقد اختلف في المراد بالنبأ هنا:

قيل: هو البعث بعد الموت.

وقيل: هو القرآن.

والراجح الأول ورجحه ابن كثير وقال: لأنه سبحانه ذكر بعده دلائل القدرة على إمكان البعث.

(الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)) يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر .

(كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥)) أي ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المختلفون بالنبأ، وسيعلمون عاقبة إختلافهم فيه، وهذا وعيد للمختلفين بالنبأ، كرر الوعيد لتأكيده.

ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال :

(أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦)) أي ممهدة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة.

(وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)) أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى

سكنت ولم تضطرب بمن عليها .

قال بعض العلماء: شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد .

(وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾) يعني ذكراً وأنثى يتمتع كل منها بالآخر ويحصل التناسل بذلك .

(وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾) أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾) أي يغشى الناس بظلامه وسواده .

(وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾) أي وجعلناه مشرقاً نيراً ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش.

(وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾) يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها .

(وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾) يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم .

(وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) اختلف بالمراد بالمعصرات.

فقيل الرياح، وقيل السحاب: ورجحه ابن كثير والمعنى: أي وأنزلنا من السحاب التي حان وقت إمطارها .

(مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾) منصباً متتابعاً .

(لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾) أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع (حباً) يدخر للأناسي والأنعام (ونباتاً) أي خضراً يؤكل رطباً .

(وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾) أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة (ألفافاً) ملتفة بعضها على بعض لكثرة أغصانها وتقارب أشجارها .

الفوائد:

١- وجوب الإيمان بالبعث والجزاء .

٢- بيان ما كان عليه الكفار من التكذيب بالعبث .

٣- أنهم سيعلمون حقيقة البعث الذي اختلفوا فيه عند الموت، لكن لا فائدة من هذا العلم .

٤- مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة على الخلق وإيجاد الآيات الدالة على وحدانيته .

٥- أن كل شيء خلقه الله فهو لحكمة .

فالنهار: لتحصيل المعاش، والليل: للراحة، والشمس: للإنارة، والجبال: لتثبيت الأرض، والنوم : راحة للأبدان .

٦- إثبات علو الله لقوله تعالى : (وأنزلنا من المعصرات).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠)﴾.

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧)) يخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾.

قال القرطبي: سمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه، وقد جعله وقتاً وميعاداً للأولين والآخرين .

(يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ) أي يوم ينفخ إسرافيل نفخة البعث ليقوم الناس من قبورهم.

(فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾) فتأتون أيها الناس أفواجاً أي جماعات.

(وَفُتِحَت السَّمَاءُ) أي انشقت كقوله تعالى: (إذا السماء انشقت).

(فَكَانَتْ أَبوَابًا ﴿١٩﴾) أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة .

(وَسُيِّرَت الْجِبَالُ) أي ونسفت الجبال وقلعت من أماكنها .

(فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾) أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء .

(إِنَّ جَهَنَّم كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾) أي مرصدة معدة .

(للطَّاغِينَ) وهم المردة العصاة المخالفون للرسل .

(مَآبًا ﴿٢٢﴾) أي مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونزلاً .

(لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾) أي ماكثين في النار دهوراً متتابعة لا نهاية لها .

(لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾) أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به ويسكن عطشهم

(إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾) أي إلا ماء حاراً بالغاً الغاية في الحرارة (وغساقاً) هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم .

(جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾) أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا.

(إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾) أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون .

(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾) أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة .

(وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾) أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

(فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾) أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه وآخر من شكله أزواج .

قال المفسرون: ليس في القرآن على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه .

الفوائد :

١- أن يوم القيامة هو يوم الفصل، أي للفصل بين الخلائق .

٢- أن يوم القيامة محدد بوقت محدد، لكن لا يعلم أحد وقته على التعيين إلا الله .

٣- إثبات النفخ بالصور:

والصور لغة: هو القرن، **وشرعاً:** قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه .

وقد دل على نفخ الصور آيات :

كما قال تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾.

٤- أن جهنم معدة عقاباً وجزاء للكافرين .

٥- أن أهل النار الكفار مخلدون بالنار لا يخرجون منها .

٦- أن أعمال العباد كافرهم ومؤمنهم كلها محصاة وسيجزون عليها .

قوله تعالى:﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)﴾.

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى :

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ اختلف بالمراد بقوله: مفازا قيل: متنزه وقيل: فازوا فنجوا من النار.

قال ابن كثير مرجحاً القول الأول: لأنه قال بعده ﴿حدائق﴾ والحدائق البساتين من النخيل وغيرها .

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ أي بساتين ناظرة فيها جميع الأشجار والأزهار .

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ أي ونساء ﴿كواعب﴾ جمع كاعب الفتاة ينكعب ثديها أي يستدير ويرتفع كالكعب ﴿أتراباً﴾ أي في سن واحدة .

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ أي كأس خمر ملأى .

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ أي ليس فيها [أي الجنة] كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص .

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنّه وإحسانه ورحمته ﴿عطاء حساباً﴾ أي كافياً وافياً سالماً كثيراً.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ أي في ذلك اليوم الرهيب يقف جبريل والملائكة مصطفين خاشعين.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن الله له

بالكلام والشـفاعـة كقوله تعالى: ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنـه﴾.

(وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾) أي حقاً. ومن الحق: لا إله إلا الله .

(ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) أي الكائـن لا محالة .

(فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾) أي مرجعـاً وطريقاً يهتدي إليـه ومنـهجاً يمر به وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

(إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا) الخطاب لكفار قـريش المنكرين للبعث (أنذرناكم) أي حذرنـاكم وخـوفناكم (عذاباً قـريبا) يعني يوم القـيامة، سـماه قريبـاً لتأكـد وقوعـه، ولأن كل ما هو آت آت .

(يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) يعرض عليه جـميع أعماله خيرها وشـرها، قديمها وحديثها .

(وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾) اختلف فيها:

قيـل: أي يود الكافر يومـئذ أنه كـان في الدار الدنيا تراباً لم يخلق ولا خـرج إلى الوجـود، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة.

وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحـيوانات التي كانت في الدنيا فـيفصل بينها بحكمـه العدل الذي لا يجور حـتى إنه ليقضي للشـاة الجماء من القـرناء، فإذا فرغ من الحكم بينهـا قال لها: كوني تراباً فـتصير تراباً فعند ذلك يـقول الكافر: (يا ليتني كنت تراباً)، أي كنت حيواناً فأرجـع إلى التراب .

ومثل هذه الآيـة:

قوله تعالى: ﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾.

وقول الله عن الكافر: (يا ليتها كانت القاضيـة).

الفوائـد :

١- بيان كرامة المتقين وفضل التقوى .

ثمرات التقوى:

أولاً: سبب للإكرام عند الله.

قال تعالى: (إن أكرمكم عن الله أتقاكم).

ثانياً: سبب لقبول الأعمال.

قال تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين).

ثالثاً: سبب للنجاة يوم القيامة.

قال تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا..).

رابعاً: سبب في دخول الجنة.

قال تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد).

خامساً: سبب لتكفير السيئآت.

قال تعالى (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً).

سادساً: سبب لنيل رحمة الله.

قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة).

سابعاً: سبب لنيل العلم.

قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله).

ثامناً: سبب لمحبة الله.

قال تعالى (فإن الله يحب المتقين).

تاسعاً: سبب لتيسير الأمور.

قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً).

عاشراً: سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض.

قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

٢- وصف جميل لنعيم الجنة .

٣- أن الجنة دار السلام، لا فيه كذب ولا كلام لاغي .

٤- أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٥- ومن نعيم الجنة الحور العين والحدائق والبساتين .

٦- أن الله هو رب السموات والأرض وما بينهما .

٧- أنه لا أحد يتكلم يوم القيامة إلا من أذن له الله .

٨- بيان فضيلة جبريل على بقية الملائكة حيث خص بالذكر .

٩- أن يوم القيامة حق وكائن لا محالة وأنه قريب .

١٠- يعرض على الإنسان يوم القيامة أعماله الحسنة والسيئة كما قال تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ وقوله تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾.

١١- أن الكافر يتمنى أن يكون تراباً من شدة العذاب .

١٢- الترغيب بالعمل الصالح واجتناب العمل السيء الفاسد .



سورة النازعات

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾.

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)) أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.

(وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)) أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطاً، أي تسلها برفق.

(وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)) أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله، أي تنزل به إلى الأرض.

(فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)) أي التي تسبق بعضها بعضاً في تدبير أمر الله.

(فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)) هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يعني بأمر ربها عز وجل .

(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)) أي يوم ينفخ بالصور النفخة الأولى التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء.

(تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)) أي تتبعها النفخة الثانية وهي نفخة القيام للقبور.

(قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)) أي منزعجة من شدة ما ترى وتسمع.

(أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)) أي أبصار أصحابها، وإنما أضيفت إليها للملابسة، أي ذليلة وحقيرة مما عاينت من الأهوال .

(يَقُولُونَ) أي منكروا البعث في الدنيا استهزاءً وإنكاراً للبعث .

(أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠)) أي: أنرد بعد الموت إلى الخلقة الأولى؟

استفهام إنكـاري مشتمل على غاية التعجب، ونهاية الاسـتغراب، أنكروا البعث ثم زادوا استبعاداً فاستمروا.

يقولون: أي الكفار في الدنيا على وجه التكذيب .

(أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١)) أي بالية فتاتاً .

والمعنى: أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاماً وهي رميم .

(قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢)) قـال محـمد بن كـعب: (قالت قـريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن).

(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣)) قال مجاهد: (صيحة واحدة).

(فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤)) أي على وجه الأرض.

الفوائـــد:

١- بيان أن الله تعـالى يقسم بما شاء من مـخلوقاته بخلاف العبـد لا يجوز له أن يقسم بغير ربه تعالى.

٢- بيان أن روح المؤمن تنـزع عند الموت نزعاً سريعـاً لا يجد من الألم مـا يجده الكافر.

٣- بيان أن الملائكة عباد مكرمون مخلوقون لطاعة الله وتلبية أوامره .

٤- بيان أن قلوب الكفار يوم القيامة تكون خائفة من شدة أهوال يوم القيامة .

٥- أن الكفار ينكرون البعث ويستبعدون أمره .

٦- عظم قدرة الله حيث بصيحة واحدة يخرج الناس من قبورهم .

٧- إثبات البعث والجزاء يوم القيامة .

والبعث ثابت بالكتاب والسنة والإجماع :

قال تعالى: ﴿ قل بلى وربي لتبعثن﴾.

وقال سبحانه: ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون لميقات يوم معلوم ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: ﴿ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد﴾ متفق عليه

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلاً لا ختان فيهم، لقوله تعالى: ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده﴾.

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦)﴾.

يخبر تعالى رسوله ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فقوله تعالى:

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥)) أي هل سمعت بخبره ؟

(إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ) أي كلمة نداء.

(بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) أي المطهر.

(طُوًى (١٦)) وهو اسم الواد على الصحيح .

(اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧)) أي اذهب إلى فرعون الطاغية الجبار، الذي تجاوز الحد في الظلم والطغيان.

(فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨)) أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به، أي تسلم وتطيع.

(وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾) أي أدلك إلى عبادة ربك. (فتخشى) فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير.

قال ابن القيم: (وتأمل امتثال موسى لما أمر به كيف قال لفرعون [هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى] فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض لا مخرج الأمر، وقال تعالى ﴿إلى أن تزكى﴾ ولم يقل: إلى أن أزكيك، فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره لما فيه من البركة والخير والتمام) .

(فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾) يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاء به من عند الله .

قال القرطبي: (أراه العلامة العظمى، وهي المعجزة، قال ابن عباس: هي العصا، كما قال تعالى: ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾).

(فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾) فكذب بالحق وعصى الأمر .

(ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات .

(فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾) أي فجمع السحرة والجنود والأتباع، وقال لهم :

(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾) أنا ربكم المعبود المعظم الذي لا رب فوقي .

قال ابن عباس ومجاهد: (وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿ ما علمت لكم من إله غيري﴾ بأربعين سنة)

(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾) أي انتقم منه انتقاماً جعله عبره ونكالاً لأمثاله من المتمردين، واختلف ما المراد بقوله (نكال الدنيا والآخرة): قيل: المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية.

وقيل: كفره وعصيانه.

وقيل: أي في الدنيا والآخرة ورجحه ابن كثير.

قال ابن كثير: (الصحيح الذي لا شك فيه، أن المراد بـ (نكال الآخرة والأولى) أي في الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي: لمن يتعظ وينزجر .

قال السعدي : (فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر) .

الفوائـــد :

١- إثبات مناجاة موسى لربه تعالى، وأنه كلمه ربه كفاحاً بلا واسطة.

٢- أن موسى رسول من رسل الله .

٣- تقرير أنه لا تزكية للنفس البشرية إلا بالإسلام، أي بالعمل بشرائعه.

٤- لا تحصل الخشية من العبد لله إلا بعد معرفة الله.

٥- استعمال الحكمة والرفق في الدعوة إلى الله.

٦- أن موسى أعطى الآيات التي تدل على صدقه من العصا واليد.

٧- شدة تكذيب فرعون .

٨- هلاك الأمم إنما بسبب كفرها وتكذيبها، كما قال تعالى: ﴿كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم﴾.

وقال تعالى: ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾.

٩- أنه يجب على الإنسان أن يعتبر ويتعظ من الأمم السابقة التي أهلكها الله بسبب كفرها وتكذيبها.

قوله تعالى:﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد موته:

(أَأَنتُمْ) أيها الناس .

(أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ) يعني: بل السماء أشد منكم، كما قال تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾.

(بَنَاهَا ﴿٢٧﴾) فسرها بقوله:

(رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾) أي جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء

(وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أي جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً.

(وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾) أي أظهر فيه النور العظيم، حين أتى بالشمس، فانتشر الناس في مصالح دينهم ودنياهم.

(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ) بعد خلق السماء.

(دَحَاهَا ﴿٣٠﴾) أودع فيها منافعها، ثم فسره بقوله تعالى:

(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾) أي أخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة، وأجرى فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام .

قال ابن كثير: (وقد تقدم في سورة السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقول إلى الفعل، وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد، واختاره ابن جرير).

(وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾) أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم.

(مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾) أي دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زرعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها .

الفوائـــد :

١- تقرير وبيان عقيدة البعث والجزاء .

٢- بيان أن الذي خلق السموات والأرض وأبدعها قادر على إحياء الموتى من

باب أولى.

فإن كل عـاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهـو على ما دونه بكثيـر أقدر وأقدر.

فـقـال تـعـالى: ﴿ أوليس الذي خلق الـسـمـوات والأرض بقـادر عـلى أن يخلق مثلهم﴾ فـأخبـر أن الذي أبدع السموات والأرض على جـلالتهمـا وعظم شأنهـمـا وكبر أجـسامهما وسعـتهما وعجـيب خلقهما أقدر على أن يحي عظامـاً قد صارت رميماً فيردها إلى حالتها الأولى .

وقـال تعالى في مـوضع آخر : ﴿لخلق الـسـمـوات والأرض أكبـر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وقال تعالى: ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾

٣- بيان إفضال الله تعالى على الإنسان وإنعامه عليه .

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾.

(فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤)) هو يوم القيامة، قاله ابن عباس .

سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع.

(يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥)) أي حينئذٍ يتذكر ابن آدم جـميع عمله خيره وشره.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد قد هيئت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها.

﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ أي قدمها على أمر دينه وأخراه.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي فإن مصيره إلى الجحيم، وأن مطعمه من الزقوم ، ومشربه من الحميم .

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه .

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ ونهى نفسه عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها.

يقال: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾ أي يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث عن الساعة متى وقوعها.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾﴾ أي ما الفائدة لك ولهم في ذكراها، ومعرفة وقت مجيئها ؟ فليس تحت ذلك نتيجة.

ولهذا لما كان علم العباد للساعة، ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في إخفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، فقال:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾﴾ أي إليه ينتهي علمها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها. قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي إنما بعثناك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسارة على من كذبك وخالفك.

(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا) أي كأن هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وما فيها من الأهوال.

(لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)) لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، بمقدار عشية أو ضحاها.

قال ابن كثير: (أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم).

الفوائـــد:

١- عظم أمر الساعة، حيث أنها تطم على كل أمر هائل مفظع.

٢- أن الإنسان في يوم القيامة يتذكر كل ما عمله من خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾.

٣-أن الناس يوم القيامة مؤمن تقي في الجنة ، وكافر فاجر في النار.

٤- فضل الخوف من الله.

فضائل الخوف من الله:

أولاً: أنه من صفات المؤمنين .

كما قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾

ثانياً: أن الله مدح أنبياءه وأولياءه على خوفهم منه .

قال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾.

ثالثاً: أثنى الله على ملائكته بشدة خوفهم .

قال سبحانه: ﴿وهم من خشيته مشفقون ﴾.

رابعاً: وعد الله الخائفين بالجنة .

كما قال سبحانه: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾.

قال أبو سليمان الداراني: (ما فارق الخوف قلباً إلا خرب).

وقال حاتم الأصم: (لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل).

٥- ذم الهوى، وفضل من خالف هـــواه.

الهوى مذموم لأسباب :

أولاً: أن الله جعل الهوى مضاداً لما أنزله على رسوله.

قال تعالى ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾.

ثانياً: أن الله شبه أتباع الهوى بأخس الحيوانات صورة.

تارة بالكلب كما قال تعالى ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب . . . ﴾.

وتارة بالحمر كما قال تعالى (كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة).

ثالثاً : أن متبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع .

قال تعالى ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾.

رابعاً: أن الله جعل متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن .

قال تعالى ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هـــواه ﴾.

خامساً: أن اتباع الهوى من المهلكات.

قال رسول الله ﷺ (ثلاث مهلكات: ... أما المهلكات فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه) .

٦- بيان استئثار الله تعالى بعلم الغيب والساعة .

كما قال تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ..﴾

وقال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة ﴾

وهي قريبة وتأتي بغتة:

كما قال تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾

وقال تعالى: ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾

وقال سبحانه: ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة﴾

وقال سبحانه: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾.

٧- أن الكفار حين يرون الساعة يستقلون مدة بقائهم في الدنيا، ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾.



سورة عبس

قال ابن كثير:

(ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى: ﴿ عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى ﴾

قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾.

(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١)) أي كلح وجهه وقطبه وأعرض عنه.

(أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢)) أي لأجل أن جاء عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشراف قريش من الإسلام.

(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣)) أي وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عبست في وجهه (لعله يزكى) أي يجعل له زكاة وطهارة في نفسه .

(أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤)) أي يتذكر ما ينفعه، فينتفع بتلك الذكرى.

(أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥)) أي عن الإيمان والإسلام وما عندك من العلم بالله والمعرفة استغنى بماله وشرفه في قومه.

﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ ﴾ أي تتعرض له لعله يهتدي.
﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة.
﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له.
﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ أي تتشاغل عنه.

قال ابن كثير: (ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله أن لا يخص بالإنذار واحداً، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة) .

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ أي هذه السورة أو المساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم وضعيفهم .

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾﴾ أي فمن شاء من عباد الله اتعظ بالقرآن واستفاد من إرشاداته وتوجيهاته.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾ أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة: أي معظمة موقرة.

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ أي عالية القدر (مطهرة) أي من الدنس والزيادة والنقص.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ هم الملائكة الذين هم سفراء بين الله وبين عباده.

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة ظاهرة كاملة.

قال ابن كثير: (ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد).

قال السعدي: (وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أنْ جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلاً، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول).

الفوائـــد :

١- تأديب الله عز وجل لنبيهﷺ، وقد بلغ بتأديب ربه له مستوى لم يبلغه سواه.

٢- استحالة كتمان الرسولﷺ لشيء من الوحي، فقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : (لو كان للرسول أن يكتم شيئاً من وحي الله لكتم عتاب الله له في عبس وتولى).

٣- بيان أنه لا يخص أحد بالدعوة والتعلم.

٤- أن الهداية بيد الله .

٥- أن الملائكة هم السفرة بين الله وبين رسله.

٦- أن المؤمن ينبغي أن يقبل على أهل الإيمان وإن كانوا ضعفاء أو فقراء، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.... ﴾

وقوله تعالى: ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾.

قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾.

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم:

(قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)) عن ابن عباس: (قتل الإنسان): لعن الإنسان، وهذا

لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه (ما أكفره) قيل: ما أشد كفره، وقيل: ما حمله على الكفر والكبر.

ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فلينظر؟ :

(مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾) أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر حتى ينكر على ربه؟

(مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾) أي من ماء حقير مهين بدأ خلقه (فقدره) أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي وسعيد.

(ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾) قيل: يسر عليه خروجه من بطن أمه، وقيل: بين له طريق الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه. (وهذا اختاره ابن كثير).

(ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾) أي أنه بعد خلقه له، (أماته فأقبره)، أي جعله ذا قبر.

قال الشيخ السعدي: (أي أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات، التي تكون جيفها على وجه الأرض).

(ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾) أي بعثه بعد موته.

(كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾) أي ليس الأمر كما يقول الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله وما افترضه الله عليه، بل إنه لم يقض ما أمره الله به، أي لم يؤد ما فرضه الله عليه.

(فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾) فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً .

(أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾) أي أنزلناه من السماء على الأرض بكثرة .

(ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾) أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض .

(فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾) هذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها .

(وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾) العنب معروف، والقضب: القت.

(وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾) أي وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخيل يخرج منها الزيت والرطب والتمر.

قال الشيخ السعدي: (وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها).

(وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾) أي بساتين (غلباً) كل ما التف واجتمع.

قال الشيخ السعدي : (أي بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة).

(وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾) الفاكهة: كل ما يتفكه به من الثمار، والأب: ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، ولهذا قال:

(مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾) أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

الفوائــد:

١- شدة كفر الكافر وعناده وتكذيبه .

٢- العجب من كفر الكافر بربه وهو خلقه ورزقه وكلأ حياته وحفظ وجوده إلى أجله .

٣- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي مقتضية للإيمان به وبآياته ورسوله ولقائه .

٤- أن الله بيّن للإنسان طريق الخير والشر كما قال تعالى: ﴿ إنا هديناه النجدين﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ

الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾.

(فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣)) أي إذا جاءت صيحة القيامة التي تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذٍ، مما يرى من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال.

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤)) أي يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل.

(وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦)) أي ويفر في ذلك اليوم من صاحبته: أي زوجته، ويفر من بنيه من ذكور وإناث.

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)) أي هو في شغل شاغل عن غيره .

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨)) أي مستنيرة .

(ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)) أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء هم أهل الجنة .

(وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)) أي ووجوه في ذلك اليوم عليها غبار .

(تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١)) أي يعلوها وتغشاها (قترة) أي سواد .

(أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)) أي الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾.

الفوائـــد :

١- بيان شدة الهول يوم القيامة يدل عليه فرار المرء من أقربائه، قال الشاعر:

يوم القيامة لو علمت بهوله | لفررت من أهل ومن أوطان
يوم تشققت السماء لهوله | وتشيب منه مفارق الولدان

٢- أن وجوه أهل الإيمان في ذلك اليوم مسفرة فرحة مستبشرة .

صفات وجوه أهل الجنة :

أولاً: البياض .

قال تعالى: ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾.

ثانياً: ناعمة .

قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ ناعمة . لسعيها راضية ﴾.

ثالثاً: مسفرة .

قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة ﴾.

رابعاً: بهية وجميلة .

قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾.

٣- ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نوراً على الوجه وإشراقاً له، وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسواداً وغباراً على الوجه .

٤- شدة يوم القيامة، ومن شدته :

- أن الإنسان يفر من أقرب الناس.
- أن الإنسان لا ينظر إلى عورة أحد في ذلك الموقف الصعب .
- تر الناس كالسكارى.
- تضع كل ذات حمل حملها.



سورة التكوير

قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾.

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)) يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فيرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .

(وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢)) أي تغيرت وتناثرت في أفلاكها، كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾.

(وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)) أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صفصفاً.

(وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)) عطلت: سيبت.

قال ابن كثير: (والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل، وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها) .

(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)) أي جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى أنه يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً.

(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾) أي أوقدت فصارت ـ على عظمها ـ ناراً تتوقد.

(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾) أي قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار .

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾) الموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سأل المظلوم فما ظن الظالم إذاً؟

قال الشيخ السعدي: (فتسأل (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾) ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها .

(وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾) أي الصحف المشتملة على ما عمله العاملون من خير وشر نشرت وفرقت على أهلها، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

(وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾) أي أزيلت ونزعت من مكانها.

(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾) أي أوقد عليها فاستعرت والتهبت التهاباً لم يكن لها قبل ذلك.

(وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾) أي قربت إلى أهلها المتقون.

(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾) أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذٍ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها.

كما قال تعالى: ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء.﴾.

وقال تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾.

الفوائـــد:

١- تقرير مفصل عن مبادىء يوم القيامة وخواتيمها.

وقد جاء في الحديث: (من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس

كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت) .

٢- من شدة ذلك أن الناس منشغلون عن أعز أموالهم وهي النوق الحوامل، لما دهاهم من الأمر .

٣- إثبات حشر الوحوش.

قال ابن القيم: (الدليل على حشر الوحوش وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾.

الثالث: حديث مانع صدقة الإبل والبقر والغنم وأنها تجيء يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها .

الرابع: حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيما ينتطحان؟ قال قلت: لا، قال: لكن الله يدري وسيقتص بينهما). رواه أحمد

الخامس: الآثار الواردة في قوله تعالى: ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ﴾ وأن الله تعالى يجمع الوحوش ثم يقتص من بعضها لبعض ثم يقال لها: كوني تراباً، فتكون تراباً، فعندها يقول الكافر: ﴿ يا ليتني كنت تراباً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ أقسم الله بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار وتظهر بالليل ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ أي التي تجري وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها كما تستتر الظباء في كناسها (ومغاراتها).

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ قيل: إذا أدبر، وقيل: إذا أقبل، ورجحه ابن كثير.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ يعني أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو جبريل .

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي شديد القوى، ومن قوته أن قلب ديار قوم لوط فأهلكهم .

(عند ذي العرش مكين) أي له مكانة عند الله ومنزلة رفيعة.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ أي مطاع في الملأ الأعلى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل عليه السلام.

قال ابن القيم: (وصف الله رسوله الملكي في هذه السورة بأنه: كريم، قوي، مكين عند الرب تعالى، مطاع في السموات، أمين، فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن، وأنه سماع محمد من جبريل، وسماع جبريل من رب العالمين ، فناهيك بهذا السند علواً وجلالة) .

ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس فقال :

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي محمد ﷺ ليس بمجنون .

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح (بالأفق المبين) أي البين .

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي وما هو على ما أوحاه الله إليه بشحيح يكتم

بعضه، بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشح بشيء منه عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنثى. ولا حضري ولا بدوي .

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم هذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله.

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله ناتج لمشيئة الله تعالى رب العالمين.

الفوائد:

١- مشروعية الإقسام بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

٢- بيان صفة جبريل الكمالية: الأمانة، القوة، علو المكانة، الطاعة، الكرم.

٣- قال ابن القيم (وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجل الصفات ﴿ .. إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين ﴾ فهذا جبريل.

فمن كرمه على ربه: أنه أقرب الملائكة إليه .

ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه ثم قلبها عليهم، فهو قوي على تنفيذ ما يؤمر به.

ووصفه بالأمانه: وهذا يقتضي صدقه ونصحه، وإلقاؤه إلى الرسل ما أمر به من

غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان، وقد جمع له بين المكانة والأمانة والقوة والقرب من الله).

٤- براءة الرسول ﷺ مما اتهمه به المشركون.

فإن من أساليب المشركين اتهام الرسول ﷺ بالجنون.

كما قال تعالى: ﴿ ويقولون إنه لمجنون ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾.

٥- أن مشيئة العبد تحت مشيئة الله.

سورة الانفطار

قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾.

(إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١)) أي انشقت.

(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢)) أي تساقطت.

(وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)) أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحراً واحداً.

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)) تبعثر بأن أخرج ما فيها من الأموات وحشروا للموقف.

(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)) أي إذا حصل هذا ينكشف الغطاء ويزول ما كان خفياً، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (هناك يعض الظالم على يديه، إذا رأى ما قبضت يداه وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، وهناك يفوز المتقون المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم والنعيم المقيم) .

(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)) هذا تهديد، والمعنى: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى قدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق.

وأتى باسمه الكريم لينتبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور.

(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧)) أي ما غرك بربك الكريم (الذي خلقك فسواك فعدلك) أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القائمة منتصبها في أحسن الهيئات

والأشكال.

(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾) أي ركبك في أي صورة شاءها واختارها لك من الصور الحسنة العجيبة، ولم يجعلك في الشكل كالبهيمة .

(كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾) أي إنما يحملك على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.

(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾) أي وإن عليكم لملائكة حفظة .

(كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾) أي كراماً على الله يكتبون أقوالكم وأعمالكم .

(يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾) أي يعلمون ما يصدر منكم من خير وشر ويسجلونه في صحائف أعمالكم لتجازوا به يوم القيامة .

الفوائـــد:

١- بيان أحداث تسبق يوم القيامة.

٢- يوم القيامة تعلم النفس ما قدمت وما أخرت من أعمال .

٣- إثبات بعث الناس من قبورهم .

٤- أن التكذيب بيوم الدين سبب بالتكذيب بالبعث .

٥- إثبات الملائكة الذين يكتبون الأعمال .

كما قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾.

قوله تعالى :﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه وتعالى انقسام الخلق يوم القيامة إلى أبرار وفجار، وذكر حال كل من الفريقين فقال:

(إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾) قال الشيخ السعدي: (المراد بالأبرار هم القائمون على

حدود الله ، وحقوق عباده الملازمون للبر في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار).

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم (لفي جحيم) أي عذاب أليم في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ أي يوم الحساب والجزاء والقيامة.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أكده بقوله تعالى:

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ ثم فسره بقوله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي لا يقدر أحد على نفع ولا خلاص مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه.

الفوائــد:

١- حكم الله في أهل الموقف إذ هم ما بين صادق فهو في نعيم، وفاجر كافر في جحيم .

٢- بيان عظم يوم الدين وأنه يوم عظيم .

٣- أن أعظم نعيم أهل الجنة رؤية الله تبارك وتعالى.

٤- أن نعيم الأبرار يكون في الدور الثلاثة: في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة ، وجحيم وعذاب الفجار في الدور الثلاثة: في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة .

قال ابن القيم: (ولا تحسب أن قوله تعالى ﴿إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار

لفي جحيم ﴾ مقصور على نعيم الآخرة وجحيمهما فقط، بل في دورهم الثلاثة كذلك: أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، فهؤلاء في نعيم ، وهؤلاء في جحيم .

وهل النعيم إلا نعيم القلب ؟؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟؟

وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله ؟) .

٥- في يوم القيامة لا تنفع شفاعة ولا خلة .

٦- أعظم جحيم وعذاب أهل النار عدم رؤية الله تعالى .

سورة المطففين

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾.

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)) ويل: كلمة عذاب وعقاب، للمطففين: فسر الله المطففين بأنهم :

(الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)) أي إذا أخذوا المكيال من الناس أخذوه وافياً كاملاً لأنفسهم .

(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)) أي وإذا كالوا للناس، ووزنوا لهم ينقصون الكيل والوزن .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (وإذا كان هذا وعيداً على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان فالذي يأخذ أموالهم قهراً وسرقة أولى بهذا الوعيد من المطففين) .

وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾.

وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال .

(أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)) يقول تعالى متوعداً لهم: أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي الله من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب .

(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾) أي يقومون حفاة عـراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمـر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه .

الفوائـــد :

١- تحريم التطفيف في المكيال والميزان .

وقد جاءت الآيات في النهي عن التطفيف في المكيال والميزان:

قال تعالى:﴿ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسـرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾.

قال تعالى: ﴿ أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾.

وقال تعالى:﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾.

٢- أن سبب الكفر والتكذيب هو عدم الإيمان بالبعث .

٣- عظم يوم القيامة، حيث يقوم الناس لرب العالمين للفصل بينهم .

بعض أحوال الناس عند قيامهم لرب العالمين :

- عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (يوم يقوم الناس لرب العـالمين حين يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه) . متفق عليه

- وقال ﷺ: (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفـاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده) . متفق عليه

- وعن أنس أن رجـلاً قال: يا نبي الله، كـيف يحشـر الكافر علـى وجهـه ؟ قال: (أليس الذي أمشـاه على الرجلين في الدنيا قـادر على أن يمشيـه على وجـهـه يوم القيامة) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: (يعرق الناس يوم القيـامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم) .

قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) ﴾.

(كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧)) أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين وهو الضيق، ولهذا عظم أمره فقال :

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨)) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم .

(كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩)) أي كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة .

قال ابن كثير: (وليس تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد) .

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠)) أي هلاك ودمار للمكذبين، ثم بيّنهم بقوله:

(الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١)) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره .

(وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢)) معتد: على محارم الله ومتعد إلى الحرام .

أثيم: أي كثير الإثم .

(إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣)) أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول ﷺ يكذب به ويظن به السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾.

(كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)) أي ليس كما زعموا ولا كما قالوا أن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة

الذنوب والخطايا .

والرين يعتري قلوب الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين .

(كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾) أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .

قال الشافعي: (وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذٍ).

وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية.

قال ابن القيم: (فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يعذب بها أعداءه، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أولياءه).

(ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾) أي ثم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران .

(ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾) أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير.

الفوائـــد:

١- بيان كتاب الفجار وأنه في سجين .

٢- الويل والتهديد للمكذبين بيوم القيامة .

٣- كلمة (ويل) معناه الوعيد والتهديد، وقد جاءت آيات وأحاديث فيها التهديد بالويل على بعض الأعمال:

أولاً: الكفار : قال تعالى: ﴿ وويل للكافرين من عذاب شديد ﴾ .

ثانياً: الأفاك الأثيم : قال تعالى: ﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾ .

ثالثاً: القاسية قلوبهم : قال تعالى: ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾.

رابعاً: الذين ينقصون المكيال : قال تعالى: ﴿ ويل للمطففين ﴾ .

خامساً: الهماز واللماز : قال تعالى: ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ .

سادساً: الكذاب من أجل أن يضحك الناس : قال رسول الله ﷺ: (ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له) .

سابعاً: الذين يتساهلون في غسل أعضاء الوضوء : قال رسول الله ﷺ (ويل للأعقاب من النار) .

٤- أن الكفار يقولون عن القرآن أنه أساطير الأولين :

كما قال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾ .

وقال سبحانه: ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾.

٥- التحذير من الذنوب والإصرار عليها، وذلك يؤدي إلى أن يكون القلب عليه الران .

٦- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بدليل قوله سبحانه: ﴿ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ أي الأشقياء، إذاً السعداء غير محجوبين فهم يرونه، والأدلة على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة :

قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾.

وقوله تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر في وجه الله تعالى كما فسرها بذلك رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ قال الطبري: قال علي وأنس هو النظر لوجه الله.

وقال ﷺ :﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته...﴾.

قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣)

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

لما ذكر سبحانه أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها وأفسحها .

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾) أي كتاب أعمالهم، والأبرار: هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون

(لفي عليين) اختلف بالمراد بالعليين: فقيل: السماء السابعه، وقيل: الجنة، وقيل: في السماء.

قال ابن كثير: (والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه :

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾) أي كتاب الأبرار كتاب مسطر مكتوب فيه أعمالهم وهو في عليين في أعلى درجات الجنة .

(يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾) قال الشيخ السعدي: (من الملائكة الكرام وأرواح الأنبياء والصديقين والشهداء).

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾) أي يوم القيامة في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم.

(عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾) أي على الفرش المزينة بالفرش الحسان (ينظرون) إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم .

(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾) أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم.

قال الشيخ السعدي: (فإن توالي اللذات والمسرات، والأفراح يكسب الوجه نوراً وحسناً وبهجة) .

(يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾) أي يسقون من خمر الجنة، والرحيق من أسماء الخمر .

(خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي آخر شربها يفوح برائحة المسك .

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾) أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.

(وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾) أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه .

(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾) أي يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً .

الفوائـــد:

١- الثناء على الأبرار وبيان ما أعد الله لهم من النعيم .

٢- الحث على التنافس على الأعمال الصالحات للحصول على نعيم الجنات .

وقد جاءت آيات كثيرة تحث على التنافس على العمل الصالح والمسابقة إليه :

قال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾.

وقال تعالى:﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾.

وقال تعالى: ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.

وقال تعالى: ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

وقال تعالى :﴿ يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾.

قال ابن القيم: (والمنافسة تتضمن مسابقة واجتهاداً وحرصاً، وهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر .... كما كان أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل حض بعضهم بعضاً عليه مع تنافسهم فيه) .

إلى أن قــال: (والمتنافسان كعبدين بين يدي سيدهما يتباريان ويتنافسان في مرضاته ويتسابقان إلى محابه، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه، وكل منهما يحب الآخر ويحرضه على مرضاة سيده) .

قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾.

(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)) يخبر تعالى عن المجرمين كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم .

(وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠)) أي وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم .

(وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١)) أي وإذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم .

قال الشيخ السعدي: (وهذا أشد ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة، مع الأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب وعهد من الله أنهم أهل السعادة) .

(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢)) أي لكونهم على غير دينهم .

قال الشيخ السعدي: (وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرؤا على القول عليه بلا علم) .

(وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣)) أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم؟ فلم اشتغلوا بهم

وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى: ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون. إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون. إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾.

(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾) فاليوم: يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك.

(عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾) إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم .

(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾) أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا، يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

قال الشيخ السعدي: (نعم ثوبوا ما كانوا يفعلون عدلاً من الله وحكمة والله عليم حكيم) .

الفوائـــد:

١- التنديد بالإجرام والمجرمين .

٢- بيان ما كان عليه المشركون في مكة من الاستهزاء بالمؤمنين .

٣- بيان أن المؤمنين سيرون المشركين في الجحيم ويضحكون منهم وهم في نعيمهم والمشركون في جحيمهم



سورة الانشقاق

قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)﴾.

(إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)) أي انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها وخسف شمسها وقمرها .

(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢)) أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب، بل قهر كل شيء وذل له كل شيء.

(وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣)) أي بسطت وفرشت ووسعت .

(وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤)) أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم.

(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)) تقدم .

(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦)) أي إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر (فملاقيه):

قيل: ثم تلاقي ما عملت من خير أو شر. كما قال (قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه).

وقيل: أي فملاقي ربك فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك.

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧)) وهم أهل السعادة .

(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾) أي سهلاً بلا تعسير، أي لا يحقق عليه جميع أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك

قال الشيخ السعدي: (وهو العرض اليسير على الله فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى: إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أسترها لك اليوم) .

عن عائشة. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته (اللهم حاسبني حساباً يسيراً، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك) رواه أحمد .

(وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾) أي يرجع إلى أهله في الجنة (مسروراً) أي فرحاً مغتبطاً بما أعطاه الله عز وجل.

(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾) أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك إهانة له .

(فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾) أي خساراً وهلاكاً .

(وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾) أي تحيط به السعير من كل جانب. وذلك :

(إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾) لا يخطر البعث على باله، ولا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل .

(إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾) أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته، والحور: هو الرجوع .

(بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾) يعني بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه كان به بصيراً أي عليماً خبيراً .

الفوائــد :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان مقدماته في انقلاب الكون .

٢- بيان حتمية لقاء الإنسان ربــه .

٣- أن الإنسان سيلاقي ما عمله من خير أو شر .

٤- فضيلة ونجاة من أعطي كتابه بيمينه .

ففي هذه الآية بيان أن من أعطي كتابه بيمينه سوف يحاسب حساباً يسيراً.

ومن أعطي كتابه بيمينه سيقول من فرحه: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية ﴾.

٥- هلاك من أعطي كتابه بشماله .

ففي هذه الآية أن من أعطي كتابه بشماله فسوف يصيح ويدعو بالثبور والويل .

وجاء في آية أخرى أنه سيقول من حزنه: ﴿ فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه﴾.

٦- أن التكذيب بالبعث سبب للعذاب والهلاك .

قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾.

(فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦)) قال الشيخ السعدي: (أقسم الله في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقيـة نور الشمس الذي هو مفتتح الليل).

(وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧)) أي وما جمـع. قال الشيخ الجزائري: (أي وما جمع من كل ذي روح من سابح في الماء وطائر في السماء وسارح في الغبراء).

(وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨)) إذا اجتمع واستوى، أي إذا تكامل نوره وأبـدر .

قـال الشيخ السـعـدي: (أي امتـلأ نوراً بإبداره، وذلك أحـسن مـا يكون وأكثـر منافع) .

(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾) قال ابن عباس: (حالاً بعد حال. قال هذا نبيكم) .

قال الشيخ السعدي: (أي أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح، ثم يكون وليـداً وطفلاً ومميزاً، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد دالة على أن الله وحده هو المعبود الموحد المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم) .

(فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾) استفهام يقصد به التوبيخ أي فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، بعد وضوح الدلائل وقيام البراهين على وقوعه .

(وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾) أي لا يخضعون للقرآن ولا ينقادون لأوامره ونواهيه .

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾) أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق.

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾) أي بما يعملونه وينوونه سراً، فالله يعلم سرهم وجهرهم وسيجازيهم بأعمالهم.

(فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾) أي فبشرهم على كفرهم وضلالهم بعذاب مؤلم موجع ، واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم .

قال بعض العلماء : ووضع البشارة في موضع الإنذار تهكم بالكفار .

(إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾) أي لكنّ الذين آمنوا بقلوبهم (وعملوا الصالحات) أي بجوارحهم (لهم أجر) أي في الدار الآخرة (غير ممنون) أي غير مقطوع، بل هو أجر دائم مستمر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر .

الفوائـــد :

١- بيان أن الإنسـان مقبل على أحـوال وأهوال حالاً بعد حـال وهولاً بعد هول إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.

٢- بيـان أن عـدم إيمان الإنسـان بربه أمـر يسـتـدعي العـجب ﴿ فـمـا لهم لا يؤمنون﴾ قال ابن القيم: (إنكاراً على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمـة لمدلولها أتـم استلزام) .

٣- علم الله تعالى بما يخفيه ويكنـه الإنسان في قلبه .

٤- ينبغي على الإنسـان أن يحمل في قلبه الإيمان والخير وعدم الحقـد والحسد لأن الله يعلم ما في القلب ومطلع عليـه .



سورة البروج

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ ﴾.

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١) يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام .

قال الشيخ السعدي: (أي ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب، ونظام دال على كمال قدرة الله ورحمته وسعة علمه وحكمته) .

(وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢) وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد .

(وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣) قال الشيخ محمد رحمه الله: (ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال يجمعها :

أن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود، والشهود كثيرون: منهم محمد ﷺ شهيداً علينا، ومنهم هذه الأمة شهداء على الناس، وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر، والملائكة يشهدون يوم القيامة، فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله: ﴿وشاهد﴾

وأما قوله: المشهود فهو يوم القيامة) .

(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤) أي لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد، وهي

الحفر من الأرض، وهذا خبر عن قوم كفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا فقذفوهم فيها .

قال الشيخ السعدي: (وهذا غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾.

(النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾) أي النار العظيمة المتأججة ذات الحطب واللهب .

(إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾) أي حين هم جلوس حول النار ، يتشفون بإحراق المؤمنين .

(وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾) أي أن الكفار قعود على حافة الأخاديد ينظرون ويشاهدون ما يحدث من عذاب للمؤمنين ويستمتعون بالنظر إليهم وهم يعذبون .

(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾) أي وما كان لهم عندهم ذنباً إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد في جميع أحواله وأفعاله وشرعه وقدره .

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) خلقاً وعبيداً يتصرف فيهم بما شاء .

(وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾) أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية .

(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) أي أحرقوا .

(ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا .

(فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾) أي فلهم عذاب جهنم المخزي بكفرهم ولهم العذاب المحرق بإحراقهم المؤمنين .

قال الحسن البصري: (انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وأهل طاعته،

وهو يدعوهم إلى التوبة).

الفوائــد :

١- إثبات يوم القيامة وأنه اليوم الموعود، يوم رهيب مخيف، يوم لا مرد لـه.

وقد جاءت لهذا اليوم أوصاف في القرآن الكريم كلها تدل على شدته:

- يوم البعث . قال تعالى: ﴿... ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾

- يوم الحساب . قال تعالى: ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾

- يوم الدين . قال تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾

- يوم الفصل . قال تعالى: ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾

- يوم الوعيد . قال تعالى:﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾

- يوم مشهود . قال تعالى:﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾.

- يوم عظيم . قال تعالى: ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾.

- يوم عقيم . قال تعالى: ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾.

- يوم التناد . قال تعالى: ﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾.

٢- سنة الابتلاء في هذه الحياة للصالحين .

٣- أن سبب تعذيب المؤمنين في كل زمان هو إيمانهم بربهم .

كما قال سحرة فرعون لفرعون:﴿ وما تنقم منّا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا﴾.

وقال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودنّ في ملتنا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾.

٤- التهديد والوعيد للذين يعذبون المؤمنين .

٥- إثبات اسم الحميد من أسماء الله .معناه :

قال الخطابي: (الحميد هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله) .
وقال ابن كثير: (الحميد: أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره) .
فيجب الإيمان بأن الله هو المستحق للحمد على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿الحمد لله ربِّ العالمين﴾.
أي هو الذي له جميع المحامد بأسرها، وليس ذلك لأحد إلا لله تعالى .
٦- إثبات اسم من أسماء الله وهو الشهيد، ومعناه :
قال الخطابي: (هو الذي لا يغيب عنه شيء) .
وقال السعدي: (الشهيد: أي المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها ...) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾.
يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم.
(لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم .
(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)) أي ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب، الذي لا سعادة ولا فوز بعده .
(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)) أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد، فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في لمح

البصر أو هو أقرب .

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ويعيده كما بدأه بلا مانع ولا مدافع .

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان .

﴿ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ قال الشيخ السعدي: (الودود الذي يحبه أصحابه، محبة لا يشبهها شيء، وهو تعالى الودود الواد لأحبابه كما قال تعالى: ﴿ يحبهم ويحبونه﴾ والمودة هي المحبة الصافية) .

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق (المجيد) فيه قراءتان :

الرفع: على أنه صفة للرب عز وجل، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها .

والجر: على أنه صفة للعرش، أي العرش العظيم الذي من عظمته أنه وسع السموات والأرض .

قال الشيخ السعدي: (وخص الله العرش بالذكر لعظمته ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه) .

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ أي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

قال القرطبي: (أي لا يمتنع عليه شيء يريده) .

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ استفهام للتشويق، أي هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة الذين تجند لحرب الرسل والأنبياء؟ هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب؟

قال القرطبي: (يؤنسه بذلك ويسليه) .

ثم بين تعالى من هم فقال :

(فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾) أي هم فرعون وثمود، أولي البأس والشدة، فقد كانوا أشد بأساً، وأقوى مراساً من قومك، ومع ذلك فقد أخذهم الله تعالى بذنوبهم .

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾) أي لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات ولا تجدي لديهم العظات .

(وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (ففيه الوعيد الشديد للكافرين من عقوبة من هم في قبضته وتحت تدبيره).

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾) أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال الشيخ السعدي: (وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى) .

الفوائـــد:

١- تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة .

٢- إثبات اسم من أسماء الله وهو الودود، ومعناه :

قال السعدي: (الودود: الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم بمحبته) .

٣- إثبات اسم من أسماء الله وهو المحيط، ومعناه :

قال الخطابي: (هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً) .

وقال السعدي: (المحيط بكل شيء علماً وقدرة ورحمة وقهراً) .

٤- إثبات العرش وأنه مخلوق عظيم .

قال تعالى: ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾.

وقال تعالى: ﴿ رب العرش العظيم ﴾.

وفي دعــاء الكرب: (لا إلـه إلا الله العظـيم الحليم، لا إلـه إلا الله رب العــرش العظيم) .

وقالﷺ: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام) . رواه أبو داود

قال في الطحاوية: (هو سـرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقـبة على العالم، وهو سقف المخلوقات)

٥- بيان شرف القرآن الكريم وأنه محفوظ .



سورة الطارق

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾.

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١) يقسم تبارك وتعالى بالسماء، وما يأتي ويطرق فيها ليلاً، فكل ما يأتي ليلاً فهو طارق.

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢) ثم فسره بقوله:

(النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣) أي المضيء الذي يثقب نوره ويخرق السموات فينفذ حتى يرى الأرض .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (والصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب) .

وسمي النجم ثاقباً لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: (نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً) أي يأتيهم فجأة بالليل.

(إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤) أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، كما قال تعالى: ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾.

قال ابن القيم: (والمقسم عليه ههنا حال النفس الإنسانية، الاعتناء بها وإقامة الحفظة عليها، وإنها لم تترك سدى، بل أرصد عليها من يحفظ عليها أعمالها ويحصيها، فأقسم سبحانه أنه ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها ويحصي ما تكتسب من خير وشر).

(فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾) تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾.

قال ابن القيم: (قوله : فلينظر: أي نظر الفكر والاستدلال ليعلم أن الذي ابتدأ أول خلقه من نطفة قادر على إعادته) .

(خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾) يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل.

(يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾) قال الشيخ السعدي: (المراد المني الدافق وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه) .

(إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾) أي الذي أوجد الإنسان من ماء دافق يخرج من هذا الموضع الصعب ، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث والنشور والجزاء .

قال ابن القيم: قوله (إنه على رجعه لقادر) أي على رجعه إلى يوم القيامة، كما هو قادر على خلقه من ماءٍ هذا شأنه) .

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾) أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهوداً.

(فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾) (فماله) أي الإنسان يوم القيامة (من قوة) أي في نفسه (ولا ناصر) أي خارج منه أي لا يقدر أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك .

قال ابن القيم: (أخبر سبحانه عن حال الإنسان يوم القيامة أنه غير ممتنع من عذاب الله، لا بقوة منه ولا بقوة من خارج وهو الناصر، فإن العبد إذا وقع في شدة فإما أن يدفعها بقوته، أو بقوة من ينصره، وكلاهما معدوم في حقه، ونظيره قوله تعالى: ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منّا يصحبون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾.

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾) يقسم الله تبارك وتعالى بالسماء ذات المطر، الذي يرجع على العباد حيناً بعد حين، قال ابن عباس: الرجع المطر .

(وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾) يقسم تبارك وتعالى بالأرض التي تتصدع وتنشق، فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار .

(إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾) (إنه) أي القرآن (لقول فصل) أي حق وصدق، بيّن واضح، فاصل بين الحق والباطل، قد بلغ الغاية في بيانه وتشريعه وإعجازه.

(وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾) أي ليس فيه شيء من اللهو والباطل والعبث، بل هو جد كله ، لأنه كلام أحكم الحاكمين.

(إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾) يخبر تعالى عن الكافرين بأنهم يكذبون ويصدون عن سبيله فقال: (إنهم يكيدون كيداً) أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن .

(وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾) لإظهار الحق ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاءوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب، فإن الآدمي أضعف وأحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده .

(فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾) أي أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويداً) أي قليلاً، أي وسترى ما ذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾.

الفوائـــد:

١- تقرير أن أعمال العباد محصاة محفوظة .

٢- نعت نظر الإنسان إلى مادة خلقه، ومن ثم فلا يتكبر على الله .

٣- إثبات البعث وقدرة الله عليه .

٤- أن يوم القيامة تظهر السرائر وتبدوا، وتعرف، ويصير السر علانية، والمكنون مشهوداً .

٥- إثبات علم الله الواسع .

٦- أن ليس للإنسان يوم القيامة قوة ولا ناصر .

قال تعالى: ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله ﴾.

وقال تعالى: ﴿ يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون ﴾.

ولا ينفع في ذلك اليوم الاعتذار .

قال تعالى: ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.

٧- إثبات أن القرآن قول فصل ليس فيه من الباطل شيء .

٨- أن الله يمكر بالمكذبين .

كما قال تعالى: ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾.

وقال تعالى: ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾.

سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ⑤ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ⑥ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ⑦﴾.

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ①) يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن صفات النقص، وعما يقوله الظالمون، ومما لا يليق به سبحانه وتعالى ومن النقائص والقبائح .

(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ②) أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات.

(وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③) قال ابن القيم: (وهي هداية كلِ مخلوق من الحيوان والآدمي لمصالحه التي قام بها، وأمره فذكر أموراً أربعة: الخلق والتسوية والتقدير والهداية، فسوى خلقه وأتقنه وأحكمه، ثم قدر له أسباب مصالحه في معاشه وتقلباته وتصرفاته وهداه إليها) .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وهذه هي الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته).

(وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ④) أي أنزل من السماء ماء فأنبت به أصناف النباتات والعشب الكثير ، فرتع فيه الناس والبهائم وجميع الحيوانات .

(فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ⑤) أي فصيّره بعد الخضرة أسود بالياً .

(سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ⑥) قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي سنحفظ ما أوحيناه إليك من الكتاب ونوعيه قلبك فلا تنسى منه شيئاً .

وهذه بشارة من الله كبيرة لعبده ورسوله محمد ﷺ أن الله سيعلمه علماً لا

ينساه .

(إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة وحكمة بالغة .

(إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ⑦) أي هو تعالى عالم بما يجهر به العباد وما يخوفونه من الأقوال ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

قوله تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⑨ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ⑬﴾ .

(وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧) أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر .

(فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⑨) أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله .

قال الشيخ السعدي: (ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير لم تكن مأموراً بها، بل هو منهي عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين).

(سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩) أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه .

(وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪) أي ويرفضها ويبتعد عن قبول الموعظة الكافر المبالغ في الشقاوة .

(الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ⑫) أي الذي يدخل نار جهنم المستعرة العظيمة الفظيعة .

قال الحسن: (النار الكبرى نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا) .

(ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ⑬) أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه،

كما قال تعالى: ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾.

الفوائـــد :

١- وجوب تسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق به .

والتسبيح معناه التنزيه ، فالله منزه عن ثلاثة أشياء :

- عن النقص في صفات الكمال .
- عن صفات النقص كالنوم والسنة والتعب .
- عن مماثلة المخلوقين .

وتمثيله بالمخلوق نقص، لأن تسوية الكامل بالناقص تجعله ناقصاً .

٢- أن الخالق هو الله .

كما قال تعالى: ﴿ الله خالق كل شيء ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾.

٣- أن الله قدر الأشياء وعلم بها .

٤- إثبات علم الله الشامل، فإن الله يعلم ما يجهر به الإنسان وما يسره .

٥- ينبغي للداعية أن ينظر أفضل الأوقات للتذكير، وذلك حين يرى أن الذكرى مفيدة .

٦- إثبات النار .

٧- أن الكافر في النار مخلد لا يموت ولا يحيى .

كما قال تعالى: ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾.

وقال سبحانه: ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول ﷺ .

﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله، وطاعة لأمر الله ، وامتثالاً لشرع الله .

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم .

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد .

قال الشيخ السعدي: (فالمؤمن العاقل لا يختار الأردى على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة بترحة الأبد، فحب الدنيا رأس كل خطيئة وإيثارها على الأخرة).

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (إن هذا) المذكور لكم في هذه السورة المباركة من الأوامر المستحسنة:

﴿ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ اللذين هما أشرف المرسلين بعد محمد ﷺ، فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين ، وهي مصالح في كل زمان ومكان .

الفوائد:

١- أن من أسباب الفلاح أن يزكي الإنسان نفسه وذلك بالتخلي بالإيمان والأعمال الصالحة، وترك المعاصي .

٢- ذم من يقدم الدنيا على الآخرة .

وقد توعد الله أعظم الوعيد من رضي بالدنيا واطمأن بها :

قال تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾.

وسميت الدنيا بذلك :

لسبقها للأخرى، وقيل: سميت بذلك لدنوها إلى الزوال .

٣- أن الآخرة خير وأعظم من الدنيا .

الآخرة: خيرات كاملة دائمة .

والدنيا: خيالات ناقصة متقطعة مضمحلة .

وقد جاءت آيات تبين أن الآخرة خير من الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾.

وقال تعالى: ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾.



سورة الغاشية

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)﴾.

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)) الاستفهام للتشويق إلى استماع الخبر، وللتنبيه والتفخيم من شأنها، أي هل جاءك يا محمد خبر الغاشية العظيمة: وهي القيامة ؟

قال المفسرون: سميت غاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وشدائدها، وتغمهم بما فيها من المكاره والكوارث العظيمة .

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)) أي وجوهٌ في ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة .

(عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣)) أي قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية .

(تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤)) أي قد انتهى حرها وغليانها .

(لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦)) أي ليس لأهل النار طعام إلا الضريع، وهو نبت ذو شوك تسميه قريش: (الشبرق). وهو أخبث طعام وأبشعه، هذا الطعام :

(لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)) أي لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين:

إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة).

قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾

لما ذكر الله تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال :

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨)) أي يوم القيامة (ناعمة) أي يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (أي قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم ، وسروا غاية السرور) .

(لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩)) أي لعملها الذي عملته في الدنيا وطاعتها لله، راضية مطمئنة، لأن هذا العمل أورثها الفردوس دار المتقين .

(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠)) أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون .

(لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١)) أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو أو سب أو فحش ، كما قال تعالى: ﴿ لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ﴾ وقال تعالى: ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾.

(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢)) هذا اسم جنس، أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاؤوا وأنى أرادوا

(فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)) السرر: جمع سرير، وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش الوطيئة.

(وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤)) يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها.

(وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥)) أي وسائد من الحرير والإستبرق وغيرهما، مما لا يعلمه إلا الله ، وقد صفت للجلوس والاتكاء عليها .

(وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)) الزرابي: البسط، ومعنى مبثوثة: أي هاهنا لمن أراد الجلوس

عليها .

الفوائـــد:

١- خسارة الكفار الكبيرة، فهم يتعبون في الدنيا ويعذبون في الآخرة .

٢- من أسماء القيامة الغاشية، لأنها تغشى الناس بأهوالها .

٣- بيان أن النار نصباً وتعباً، على عكس الجنة فإنها لا نصب فيها ولا تعب.

٤- أن طعام أهل النار لا فائدة منه ولا يحصل به المقصود .

٥- أن وجوه أهل الجنة حسنة نضرة .

٦- كانت السـرر مرفوعـة، ليرى المؤمن إذا جلس عليهـا جميع مـا خوّله ربه من النعيم والملك فيها ويلحق جميع ذلك بصره .

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) ﴾.

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته :

(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)) فإنهـا خلق عجيب وتركـيبهـا غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتـفع بـوبرها ويشـرب لبنهـا، ونبـهـوا بذلك لأن الـعـرب غـالـب دوابهم كانت الإبل .

(وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨)) أي وإلى السماء البديعـة المحكمة، كيف رفع الله بناءها وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم .

(وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩)) أي جعلت منصوبة، فـإنها ثابتة راسيـة لئلا تميد بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن .

(وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)) أي كيف بسطت ومدت ومهدت.

فنبـه الـبـدوي على الاسـتـدلال بما يشـاهده من بعيـره الذي هو راكـب عليـه،

والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم، الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه .

قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) ﴾.

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١)) أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم.

(لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)) أي لست بمتسلط عليهم، ولا قاهر لهم حتى تجبرهم على الإيمان .

(إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣)) أي لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله .

(فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤)) أي الشديد الدائم .

(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥)) أي مرجعهم ومنقلبهم .

(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)) أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

الفوائد :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة إلى الإيمان به .

٢- الدعوة إلى النظر إلى الإبل وفي خلقتها - وكانت الإبل كثيرة عند العرب - فالإبل مخلوقة عجيبة تستحق التفكر في خلقها وفي صفاتها .

فهي من أكثر الحيوانات صبراً على الماء - وإذا شربت ماءً مالحاً تحول في بطنها ماءً حلواً وعذباً - والإبل كذلك تعرف الطريق، وغير ذلك من الصفات.

٣- دعانا الله إلى التفكر إلى السماء كيف رفعت:

كما قال تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر ... لآيات لقوم يتفكرون ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾.

وقد أثنى سبحانه على المتفكرين في خلق السموات والأرض وذم المعرضين عن ذلك فقال :

﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون ﴾.

٤- من منافع الجبال أنها نصب على وجه الأرض نصباً ثابتاً لا يتزلزل .

وللجبال منافع :

- أن الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاملاً لشراب الناس إلى نفاده .

- ومن منافعها ما يكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل التي بمنزلة الحصون والقلاع وهي أيضاً أكنان للناس والحيوان .

- ومن منافعها: ما ننحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها .

- ومن منافعها: ما يوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها .

- ومن منافعها: ما ذكره الله في كتابه أن جعلها للأرض أوتاداً تثبتها، ورواسي بمنزلة رواسي السفينة (مفتاح دار السعادة لابن القيم) .

٥- أن الداعي إلى الله مهمته الدعوة إلى الله دون هداية القلوب فإنها إلى الله وحده .

كما قال تعالى: ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾

وقال تعالى: ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾.



سورة الفجر

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ⑤﴾.

(وَالْفَجْرِ ①) الفجر معروف وهو الصبح .

(وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②) المراد بها عشر ذي الحجة .

(وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③) أي وأقسم بالزوج والفرد من كل شيء، فكأنه تعالى أقسم بكل شيء، لأن الأشياء إما زوج وإما فرد، أو هو أقسم بالخالق والخلق، فإن الله تعالى واحد وتر والمخلوقات ذكر وأنثى شفع .

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④) فيها قولان:

قيل: أي اذا ذهب، وقيل: أي إذا سار أي أقبل ، ورجحه ابن كثير وقال :

(إن هذا أثبت، لأنه في مقابلة (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار) .

(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ⑤) أي فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذي لب وعقل؟ الاستفهام تقريري والفخامة من شأن الأمور المقسم بها، كأنه يقول: أن هذا القسم عظيم عند ذوي العقول والألباب، فمن كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله به من هذه الأمور والأشياء فيها عجائب، ودلائل تدل على توحيده وربوبيته.

فائدة: (حجر): عقل ولب، وأصل الحجر المنع، وسمي العقل حجراً لأنه يمنع الانسان من تعاطي ما لا يليق به من الافعال والاقوال .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾) (ألم تر) بقلبك وبصيرتك (كيف فعل ربك بعاد) وهؤلاء كانوا متمردين عتاد جبارين خارجين مكذبين لرسله جاحدين لكتبه، فذكر الله كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً، وهؤلاء عاداً الأولى، وهم الذين بعث الله فيهم هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن منهم، وأهلكهم بريح صرصرٍ عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنين.

(ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً .

(الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾) أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (أي في جميع البلدان في القوة والشدة، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام : ﴿ واذكروا إذ جعلكم مستخلفين من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾).

(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾) أي وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال، ونحتوا بيوتاً بوادي القرى، قال تعالى: ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾، وكانت مساكنهم في الحجر بين الحجاز وتبوك.

(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾) اختلف في تفسير الأوتاد:

فقيل: الجنود الذين يشدون أمره، وقيل: الحبال التي كان يوتد بها الناس فيعذبهم، وقيل: الأوتاد التي توتد من خشب كانت أو حديد، ورجحه الطبري وقال: لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك لأنه: إما أن يكون كان يعذب الناس بها، وإما أن يكون كان يلعب بها.

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١)) أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس .

(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣)) أي أنزل عليهم رجزاً من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين .

(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)) قال ابن عباس: (يسمع ويرى، يعني يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلاً بسعيه في الدنيا والآخرة، وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله .

الفوائد :

١- فضل الليالي العشر من أول ذي الحجة .

فضائلها :

أولاً: أن الله أقسم بها كما في هذه الآيات .

ثانياً: أن العمل الصالح فيها أفضل من غيره .

لحديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ما العمل في أيام أفضل منها في هذه الايام (أي عشر ذي الحجة) قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله ولم يرجع بشيء) رواه البخاري

٢- بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم الفانية والشعوب الظالمة .

٣- أن المعاصي والفساد سبب في زوال النعم وحلول النقم .

كما قال تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾.

وقال تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.

وقال تعالى: ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾.

وقال تعالى: ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوز ومقام كريم ﴾.
وقال تعالى: ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) ﴾.

(فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)) يقول تعالى منكراً على الإنسان في انتقاده اذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله اكراماً له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان. كم قال تعالى: ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾.

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)) وكذلك بالجانب الآخر اذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله اهانةً له، قال الله تعالى:

(كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧)) (كلا) أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين: إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإن كان فقيراً بأن يصبر .

(بل لا تكرمون اليتيم) الذي فقد أباه وكاسيه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه، فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم وعدم الرغبة في الخير .

(وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨)) يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء

والمساكين، ويحث بعضهم على بعض في ذلك .

(وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾) (التراث) الميراث (أكلاً لما) أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام .

(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾) أي حباً كثيراً .

قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.

(كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾) يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى: (كلا) أي حقاً (إذا دكت الأرض دكاً دكاً) أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم.

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾) (وجاء ربك) لفصل القضاء بين خلقه والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً .

قال الشيخ السعدي: (أي صفاً بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفاً، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار).

(وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾) (وجيء يومئذٍ بجهنم) تقودها الملائكة بالسلاسل، قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) .

(يومئذٍ يتذكر الإنسان) ما قدمه من خير أو شر .

(وأنى له الذكرى) أي وكيف تنفعه الذكرى .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (فقد فات أوانها وذهب زمانها) .

(يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾) يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (يا ليتني قدمت لحياتي: الباقية الدائمة وعملاً صالحاً) .

(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾) أي ليس أحداً أشد عذاباً من تعذيب الله لمن عصاه .

(وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾) أي وليس أحداً أشد وثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين .

وأما من آمن بالله واطمأن به وصدق رسله فيقال له :

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾) إلى ذكر الله الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله .

(ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾) (ارجعي إلى ربك) أي إلى جواره وثوابه وما أعده لعباده في جنته (راضية) أي في نفسها (مرضية) أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها .

(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾) (فادخلي في عبادي) أي في جملتهم (وادخلي جنتي) وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره .

الفوائـــد :

١- أن النعم من الله وكذا النقم ابتلاء من الله يبتلي بها عباده فيسعد بها أقوام ويشقى بها آخرون، فالمحن تكون بالخير والشر .

قال تعالى:﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾. وقال تعالى:

﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ﴾.

٢- وجوب إكرام اليتامى والحض على إطعام الجياع من فقراء ومساكين .

٣- وجوب إعطاء المواريث لمستحقيها ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً .

٤- إثبات مجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء إثباتاً يليق بجلاله .

٥- ينبغي للإنسان أن يستغل عمره بما يقربه إلى الله .

٦- أن الإنسان المفرط يتحسر على فوات عمره .

كما قال تعالى: ﴿ يا ليتني قدمت لحياتي ﴾.

وقال تعالى: ﴿ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾.

وقال تعالى:﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾.

٧- بشرى النفس المطمئنة بالإيمان وذكر الله عند الموت وعند القيام من القبر .



سورة البلد

قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾

(لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)) هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى أفضل البلدان على الإطلاق .

(وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)) أي وأنت بمكة حلال لك أن تصنع فيها ما تشاء مما هو حرام في غير هذا الوقت الذي أحل لك فلا إثم عليك ولا حرج.

(وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣)) اختلف العلماء بالمراد بالوالد والولد:

قيل: أقسم بكل من يلد، وبكل عاقر لا يلد، وقيل: المراد بالوالد آدم، وما ولد يعني ولده وهذا قول مجاهد.

قال ابن كثير: (وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده .

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)) أي في نصب وتعب لا يفارقانه منذ نخلقه في بطن أمه إلى وفاته بانقضاء عمره، ثم يكابد شدائد الآخرة، ثم إما إلى نعيم لا نصب معه ولا تعب، وإما إلى جحيم لا يفارقه .

(أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)) أي أيظن هذا الشقي الفاجر المغتر بقوته أن الله تعالى لا يقدر عليه لشدته وقوته.

(يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦)) أي يقول ابن آدم أنفقت مالاً كثيراً .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وسمى الله الإنفاق في الشهوات والمعاصي

إهلاكاً لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود إليه من إنفاقه إلا الندم والخسارة والتعب والقلة) .

(أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦) أي أيظن في فعله هذا أن الله لا يراه ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟ .

بل قد رآه الله وحفظ عليه أعماله ووكل به الكرام الكاتبين لكل ما عمله من خير وشر.

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ⑧) أي ألم نجعل له عينين يبصر بهما ؟

(وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨) (ولساناً) ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه .

(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩) أي وبينا له طريق الخير والشر .

قال ابن كثير : (ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً. إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾).

الفوائـــد :

١- شرف مكة وحرمتها وعلو شأن الرسول ﷺ وسمو مقامه .

وقد ورد في فضل مكة آيات وأحاديث :

قال تعالى:﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين﴾.

وقال تعالى: ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾.

وقال تعالى: ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها) .

وقال رسول الله ﷺ:(الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما

سواه من المساجد).

٢- أن الله مطلع على كل شيء، لا تخفى عليه خافية .

٣- أنه لا عذر للكافر، فإن الله قد بين طريق الخير والشر .

قوله تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾.

(فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)) عن ابن عمر في قوله تعالى: (فلا اقتحم العقبة) أي دخل (العقبة) جبل في جهنم .

قال ابن زيد: (فلا اقتحم العقبة) أي فلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير .

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢)) أي وما أدراك وما أعلمك ما اقتحام العقبة، وفيه تعظيم لشأنها وتهويل ، ثم فسرها بقوله تعالى:

(فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)) أي فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها في أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار). متفق عليه

وللترمذي: (وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار).

(أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)) أي مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة .

قال بعض العلماء: (وقيد الإطعام بيوم المجاعة، لأن إخراج المال فيه أشد على النفس) .

(يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥)) أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيماً (ذا مقربة) أي ذا قرابة

منك .

وفي الحديث: (الصدقة على ذي الرحم صدقة وصلة) .

(أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)) أي فقيراً مدفعاً لاصقاً بالتراب من فقره وضره، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس .

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)) (ثم كان من الذين آمنوا) أي آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم (وتواصوا بالصبر) على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة (وتواصوا بالمرحمة) للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية .

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨)) أي هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الجليلة هم أصحاب اليمين، وهذا عنوان السعادة وعلامتها .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)) أي الذين نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحاً، ولا رحموا عباد الله (هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال .

ـ قرن سبحانه بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء .

(عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠)) أي عليهم نار مطبقة مغلقة .

الفوائـد :

١ – بيان أن عقبة عذاب الله يوم القيامة تقتحم بأربعة أمور :

ـ فك رقبة .

ـ إطعام في يوم ذي مسغبة .

ـ إيمان صادق بالله ورسوله .

ـ تواصي بالصبر .

٢- فضل عتق الرقبة، وقد وردت نصوص في فضل ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما امرئ أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار) . متفق عليه

وللترمذي: (وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار).

ولأبي داود: (وأيما امرأة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار) .

٣- فضيلة التواصي بالصبر. وقد جاءت آيات تدل على ذلك :

قال تعالى: ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾.

وقال تعالى: ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

وقال لقمان:﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾.



سورة الشمس

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾.

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١)) أقسم الله بالشمس ونورها ونفعها الصادر منها .

(وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢)) أي وأقسم بالقمر إذا سطع مضيئاً، وتبع الشمس طالعاً بعد غروبها .

(وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣)) أي وأقسم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره .

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)) أي وأقسم بالليل إذا غطى الكون بظلامه .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم، بانتظام وإتقان وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه باطل).

(وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥)) أي أقسم بالسماء (وما بناها) أي الذي بناها وهو الله رب العالمين .

وقيل المعنى السماء وبنائها، قال ابن كثير: وكلاهما متلازم.

(وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)) أي وأقسم بالأرض ومن بسطها من كل جانب.

قال الشيخ السعدي: (أي مدها ووسعها فتمكن الخلق حينئذٍ من الانتفاع بها بجميع أوجه الانتفاع) .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ ﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة .

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ أي أرشدها إلى فجورها وتقواها، أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ ﴾ أي قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ أي دسها، أي أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله .

الفوائـــد :

١- بيان مظاهر القدرة الإلهية في الآيات التي أقسم بها الرب تعالى .

٢- أن الفلاح يكون بتزكية النفس .

٣- أن من دس نفسه بالمعاصي والكفر فهو الخاسر .

قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾.

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾) يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم (بطغواها) أي بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ ﴾ أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة .

قال ابن كثير: (وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم، شريفاً في قومه، نسيباً رئيساً مطاعاً) .

(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) يعني صالح عليه السلام محذراً .

(نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء .

(وسقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم

معلوم .

(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا) أي كذبوا فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم .

(فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ) أي فأهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم .

(فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء .

(وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾) أي تبعتها، وكيف يخاف من هو قاهر لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، حكيم في كل ما قضاه وشرعه ؟

الفوائـــد:

١- التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد .

٢- أن الطغيان في الشر والفساد مدمر مفسد وموجب للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة .

٣- طغيان قوم ثمود، فقد كذبوا، وما كذبوا به :

- كذبوا بالعذاب الذي وعدهم به نبيهم صالح .

كما قال تعالى: ﴿ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾.

- وكذبوا بالبعث والقيامة .

كما قال تعالى: ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾.

وكذبوا برسالة صالح .

كما قال تعالى: ﴿ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾.

٤- تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه، إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم .

فائـدة:

ذكر في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الأمم المكذبة، قال ابن القيم:
(قال شيخنا: هذا - والله أعلم - من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه لم يكن في الأمم المكذبة أخف ذنباً وعذاباً منهم) .

سورة الليل

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) ﴾.

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١)) هذا قسم من الله بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه .

(وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢)) أي إذا تجلى وانكشف بضيائه وإشراقه .

(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣)) أقسم بنفسه الكريمة سبحانه الموصوفة بكونه خالق الذكر والأنثى .

قال الشيخ السعدي: (وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد إبقاءها ذكراً وأنثى ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلاً منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسباً للآخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

(إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)) أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً.

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥)) أي أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله في أمره .

(وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦)) قيل: أي صدق بـ (لا إله إلا الله) وما دلت عليه من العقائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء .

وقيل: بالخلف، لحديث (اللهم أعط منفقاً خلفاً) .

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)) أي نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير فيسر الله له ذلك .

قال بعض السلف: (من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها) .

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ بخل بما عنده، فترك الإنفاق الواجب والمستحب ولم تسمح نفسه بأداء ما أوجب الله (واستغنى) عن ربه، فترك عبوديته جانباً ، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها .

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ أي كذب بالجزاء في الدار الآخرة .

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ أي للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسراً للشر أينما كان، ومقيضاً له أفعال المعاصي .

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ ﴾ (ماله) الذي أطغاه واستغنى به وبخل به (إذا تردى) أي هلك ومات ودخل جهنم، فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح .

الفوائـــد:

١- بيان عظمة الله وقدرته وعلمه الموجبة لربوبيته المقتضية لعبادته وحده دون سواه .

٢- تقرير القضاء والقدر وأن كل إنسان ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاء .

٣- أن المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا من أنفقه في طاعة الله، ومما يدل على ذلك:

قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴾.

وقال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾.

وقال تعالى عن الكافر: ﴿ ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه ﴾.

وقال ﷺ : (يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك) .

٤- ذم البخل، وقد جاءت نصوص كثيرة في ذم البخل :

قال تعالى: ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ﴾.

وقال تعالى: ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ... ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾.

وكان ﷺ يستعيذ منه فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل). رواه البخاري

وقال ﷺ: (شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع). رواه أبو داود

٥- أن فعل الطاعة ميسر لفعل طاعة أخرى، وفعل المعصية يدفع إلى معصية أخرى، ومما يدل على ذلك :

قوله تعالى: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) ﴾.

(إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢)) أي إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة، ونوضح سبيل الرشد من سبيل الغي .

(وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ (١٣)) أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما .

(فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤)) أي تستعر وتتوقد .

(لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥)) أي لا يدخلها للخلود فيها ويذوق سعيرها إلا الكافر الشقي . . . ثم فسره بقوله تعالى :

(الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)) (الذي كذب) بقلبه (وتولى) أي عن العمل بجوارحه وأركانه .

قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾.

(وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧)) أي وسنزحزح عن النار التقي النقي، ثم فسره بقوله :

(الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨)) أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا .

(وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩)) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما إلى دفعه ذلك :

(إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠)) أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات .

(وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

الفوائــد:

١- بيان أن الله متكفل بطريق الهدى، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فأبان الطريق، وأوضح السبيل .

٢- بيان أن لله تعالى وحده الدنيا والآخرة، فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك من الله .

٣- التحذير من نار جهنم، وأنها تتلظى وتتوقد .

٤- أن من كذب بالرسول وأعرض عن الإيمان بالله فإن مأواه نار جهنم .

٥- أن التقوى من أسباب النجاة من النار، ومما يدل لذلك أيضاً :

قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا . . . ﴾.

٦- فضل الإنفاق في سبيل الله .

سورة الضحى

عن جندب قال: (اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله: والضحى والليل إذا سجى). متفق عليه

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾.

(وَالضُّحَىٰ (١)) هذا قسم من الله بالضحى، وما جعل فيه من الضياء، وهو ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال .

(وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢)) أي سكن فأظلم وادلهم .

(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣)) (ما ودعك ربك) أي ما تركك منذ اعتنى بك (وما قلى) أي وما أبغضك منذ أحبك .

(وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤)) أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ﷺ .

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥)) أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر .

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦)) قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد ﷺ: (ألم يجدك يتيماً فآوى) وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله

من العمر ثماني سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكشف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره .

(وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾) أي وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان فعلمك ما لم تكن تعلم ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، كما قال تعالى: ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾.

(وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾) أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه.

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴿٩﴾) أي كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم، أي لا تذله وتنهره وتهينه ولكن أحسن إليه وتلطف به .

(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾) أي فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (ويدخل في هذا السائل للمال والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه فإن في ذلك معونة له على مقصده وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد).

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾) أي كما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك .

قال الشيخ السعدي: (فإن التحدث بنعمة الله داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب على من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن) .

الفوائد:

١- بيان علو المقام المحمدي وشرف مكانه .

٢- مشروعية التذكير بالنعم والنقم حملاً للعبد على الصبر والشكر .

٣- لقد أعطى الله نبيه محمد الكثير من النعم، ومن هذه العطايا :

ـ ما أخرجه البـخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت خـمسـاً لم يعطهن أحد قـبلي: نصـرت بالرعب مسـيرة شـهر، وجـعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) .

ـ ومن ذلك القـرآن والسـبع المثاني، كـما قـال تعالى: ﴿ولقـد آتيناك سـبعـاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾.

ـ ومن ذلك الكوثر، قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر ﴾.

ـ ومن ذلك المقام المحمود .

٤- مشروعية التحديث بالنعم، والتحديث يشمل :

ـ ذكر النعمة، والإخبار بها وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا .

ـ ويشمل الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته وتعليم الأمة .

٦- تحريم نهر اليتيم وزجره بعنف، بل إن وجد الإنسان أعطاه أو رده بكلمة طيبة تشرح صدره .



سورة الشرح

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) ﴾.

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)) يعني إنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً .

(وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢)) أي حططنا عنك حملك الثقيل .

(الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣)) أي أثقله حمله، كما قال تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)) أي أعلينا قدرك وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق .

فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسول الله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام ، وفي الأذان والإقامة والخطب وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ .

(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)) بشارة عظيمة أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر فأخرجه، كما قال تعالى: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾، وكما قال النبي ﷺ: (وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً).

(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧)) أي تفرغت من أشغالك ولم يبق في قلبك ما يعوقه فاجتهد في العبادة والدعاء .

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ﴾ أي أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول دعواتك.

الفوائـــد:

١- بيان ما أكرم الله به رسوله من شرح صدره ومغفرة ذنوبه ورفع ذكره .

وقد رفع الله ذكره بأمور:

- إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه، كما قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾.
- أخذ الله الميثاق على الناس أن يؤمنوا به إذا بعث وهم أحياء .
- لا ينعقد لأحد إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ .
- الله عز وجل وملائكته يصلون على النبي الكريم ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾.
- اسمه يذكر في خطبه .

٢- بيان أن انشراح صدر المؤمن للدين واتساعه لتحمل الأذى في سبيل الله نعمة عظيمة .

أسباب انشراح الصدر كما ذكرها ابن القيم :

أولاً: فأعظم انشراح الصدر التوحيد .

ثانياً: ومنه العلم، فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا .

ثالثاً: ومنها الإنابة إلى الله ومحبته بكل القلب .

رابعاً: ومنها دوام ذكره على كل حال وفي كل موطن .

خامساً: ومنها الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه وأنواع الإحسان .

سادساً: ومنها الشجاعة، فإن الشجاع منشرح الصدر واسع النطاق متسع القلب.

سابعاً: ومنها بل ومن أعظمها، إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب سخطه وعذابه .

ثامناً: ومنها ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم .

٣- أن بعد الشدة يأتي الفرج، ومما يدل على ذلك :

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾.

وقال تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.



سورة التين

قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾.

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١) هما المعروفان، التين فاكهة والزيتون ما يستخرج منه الزيت.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (أقسم بهاتين الشجرتين لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام محل نبوة عيسى بن مريم عليه السلام) .

(وَطُورِ سِينِينَ ۝٢) جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام .

(وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۝٣) وهو مكة المكرمة ومحل نبوة محمد ﷺ .

فأقسم الله تعالى بهذه المواضع المقدسة التي اختارها وانبعث منها أفضل الأنبياء وأشرفهم .

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤) هذا هو المقسم عليه، وهو أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها .

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥) أي إلى النار، ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسول ﷺ .

(إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إلا من منّ الله عليه بالإيمان والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة العالية.

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ أي غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها .

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾﴾ (فما يكذبك) يا ابن آدم (بعد بالدين) أي بالجزاء في المعاد، ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجوز أن يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

الفوائد:

١- بيان شرف مكة وحرمتها .

٢- بيان فضل الله على الإنسان في خلقه في أحسن صورة وأقوم تعديل .

٣- الله أحكم الحاكمين، ومن حكمه :

ـ أن لا يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون .

ـ ومن حكمه: ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾.

سورة العلق

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.

هذه الآيات الخمس أول شيء نزل من القرآن الكريم، وهنّ أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم .

فإنها نزلت في مبادي النبوة، إذ جاء جبريل إلى النبي ﷺ بالرسالة وأمره أن يقرأ، فاعتذر وقال: ما أنا بقارئ، فلم يزل به حتى قرأ، فأنزل الله هذه الآيات .

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)) يأمر الله تعالى رسوله أن يقرأ بادئاً قراءته بذكر اسم ربه (الذي خلق) أي خلق الخلق كله .

(خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)) أي خلق هذا الإنسان البديع الشكل الذي هو أشرف المخلوقات من العلقة، وهي قطعة من الدم غليظة كانت في الأربعين يوماً الأولى في الرحم، ثم تطورت إلى علقة تعلق بجدار الرحم .

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)) أي اقرأ يا محمد وربك العظيم الكريم، الذي لا يساويه ولا يدانيه كريم، وقد دل على كرمه أنه علم العباد ما لم يعلموا.

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)) أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم .

(عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن وعلمه الحكمة وعلمه بالقلم، فلله الحمد والمنة الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور .

الفوائد :

١- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية .

٢- هذه الآيات أول ما نزل من القرآن .

٣- امتنان الله على الإنسان بتعلمه العلم .

فإن قيل / لماذا لم يتعلم النبي ﷺ الكتابة ؟

الجواب / ذلك حتى يكون بعثته أكمل في الإعجاز، فهو نبي أمي ومع ذلك يتلو عليهم هذا الكتاب العزيز مما علمه الله وجمعه له في صدره .

٤- بيان شرف العلم .

قال ابن القيم: (إن أول سورة أنزلها في كتابه سورة العلق، فذكر فيها ما منّ به على الإنسان من تعليمه ما لم يعلم) .

٥- ذكر بعض العلماء أن الأقلام ثلاثة :

- القلم الذي خلقه الله أول ما خلق فقال له: اكتب .

- القلم الذي مع الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد، كما قال تعالى: ﴿بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾.

- القلم الذي بأيدي العباد يكتبون به .

قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾.

(كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾) يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، وسبب ذلك :

(أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾) أي من أجل أن رأى نفسه غنياً واضح ذا ثروة ومال وأشر وبطر، ثم يتوعده ويهدده بقوله:

(إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾) أي إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته .

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾) نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت .

فقد روي أن أبا جهل قال لأصحابه يوماً: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فجاء يوماً فوجد رسول الله ﷺ يصلي، فأقبل يريد أن يطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، فقيل له: مالك ؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ : (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) فأنزل الله: ﴿أرأيت الذي ينهى . عبداً إذا صلى . . .﴾.رواه مسلم

(أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾) (أرأيت) أيها الناهي للعبد إذا صلى (إن كان) هذا العبد المصلي (على الهدى) في فعله وأمره .

(أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾) أمر غيره بالتقوى وأنت تزجره وتتوعده على صلاته، ولهذا قال :

(أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾) أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أوفر الجزاء .

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾.

(كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾) يقول تعالى متوعداً ومتهدداً (كلا لئن لم ينته) أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد (لنسفعاً بالناصية) أي لنأخذن بناصيته أخذاً عنيفاً (والناصية شعر مقدمة الرأس) .

(نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾) يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها .

(فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾) أي قومه وعشيرته، أي ليدعوهم ويستنصر بهم .
(سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾) وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه؟.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله: ﴿ فليدع ناديه . سندع الزبانية ﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته). رواه الترمذي

(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾) يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس (واسجد) لربك (واقترب) في السجود وكثرة أنواع الطاعات والقربات .

وفي الحديث قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء) . رواه مسلم

الفوائـــد:

١- أن الإنسان إذا استغنى بماله تكبر وطغى، وهذا غالباً، ويدل لذلك:

قوله تعالى: ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾.

٢- نصرة الله لرسوله ﷺ بالملائكة عياناً في المسجد الحرام .

٣- تسجيل لعنة الله على فرعون الأمة أبي جهل .

٤- تنبيه للإنسان أن يتذكر أن الله مطلع عليه ويراه .

سورة القدر

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾.

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)) يخبر تعالى أنه أنزل القرآن في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وهي ليلة القدر، وهي في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾.

وسميت ليلة القدر بهذا الاسم :

أولاً: لأنه يقدرفيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق .

ثانياً: ولعظم قدرها وفضلها عند الله كما قال تعالى: (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

ثالثاً: ولعظم وشرف من يقومها، كما في الحديث: (من قام ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه) .

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)) تفخيماً لشأنها وتعظيماً لقدرها، أي فإن شأنها جليل وخطرها عظيم .

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)) أي تعادل في فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث منّ تعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمراً طويلاً نيفاً وثمانين سنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قد جاءكم شهر رمضان

مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم) . رواه أحمد

(تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤)) أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر .

وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام .

(سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)) أي سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، (حتى مطلع الفجر) أي مبدأها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر .

الفوائـــد:

١- إثبات علو الله تعالى، لقوله ﴿ إنا أنزلناه ﴾.

وعلو الله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف :

قال تعالى: ﴿ وهو العلي العظيم ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وهو العلي الكبير﴾.

وقال تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ للجارية: (أين الله ؟ قالت: في السماء).

٢- فضل ليلة القدر ، ومن فضائلها :

- أنها خير من ألف شهر (٨٤ سنة) .
- نزول الملائكة فيها .
- سالمة من كل شر .

٣- استحباب طلب ليلة القدر .

٤- فضل العبادة في ليلة القدر حيث تعادل ألف شهر .

سورة البينة

قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾.

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١))

يقول تعالى: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى (والمشركين) من عبدة الأوثان والأصنام (منفكين)عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه، أي لا يزالون في غيهم وضلالهم لا يزيدهم مرور الأوقات إلا كفراً (حتى تأتيهم البينة) الواضحة والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة فقال :

(رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢)) (رسول من الله) أي أرسله الله يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتاباً يتلوه ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم (يتلوا صحفاً مطهرة) أي محفوظة من قربان الشياطين لا يمسها إلا المطهرون لأنها أعلى ما يكون من الكلام .

(فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)) أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ لأنها من عند الله .

(وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)) أي وما اختلف اليهود والنصارى إلا من بعد ما جاءتهم البينة وهي محمد ﷺ وكتابه، إذ كانوا قبل البعثة المحمدية متفقين على انتظار نبي في آخر الزمان، وأنه النبي الخاتم للنبوات، فلما جاءهم تفرقوا فآمن بعض وكفر بعض .

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ

وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)) قوله (وما أمروا) في سائر الشرائع (إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله (حنفاء) أي مائلين من الشرك إلى التوحيد (ويقيموا الصلاة) وهي أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج (وذلك دين القيمة) أي الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم .

الفوائـــد:

١- بيان أن الديانات السابقة للإسلام والتي عاصرته كانت منحرفة اختلط فيها الحق بالباطل .

٢- أن أهل الكتاب بصورة خاصة كانوا منتظرين البعثة المحمدية وقد بعث رسول الله ﷺ فآمن بعضهم وكفر بعضهم .

٣- سبب تفرق الذين أوتوا الكتاب بعد مجيء البينة إليهم هو الحسد لمحمد ﷺ وللعرب على ما آتاهم الله من فضله .

كما قال تعالى: ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾.

٤- وجوب إخلاص العبادة لله .

٥- أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان .

لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾.

فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) ﴾.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)) يخبر تعالى عن حال الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة، أنهم يوم القيامة (في نار جهنم خالدين فيها) ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية) أي شر الخليقة التي برأها الله وخلقها .

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)) يخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية .

(جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)) (جزاؤهم عند ربهم) أي يوم القيامة (جنات عدن) أي جنات إقامة (تجري من تحتها الأنهار) أي تسيح من تحتها الأنهار، قال العلماء: من تحت أشجارها وقصورها وليس من تحت سطحها . (خالدين فيها أبداً) أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضي الله عنهم) بما قاموا به من مراضيه، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوا من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العظيم (ذلك) الجزاء الحسن (لمن خشي ربه) أي خاف الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه .

الفوائد:

١- جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بئس الجزاء .

٢- أن الكفار في نار جهنم خالدين فيها .

٣- أن عدن من أسماء الجنة .

أسماء الجنة:

أولاً: دار السلام .

قال تعالى: ﴿ لهم دار السلام ﴾ وقال تعالى: ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾.

فهي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه .

ثانياً: دار الخلد .

سميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً .

ثالثاً: دار المقامة .

قال تعالى: ﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾.

رابعاً: جنة المأوى .

قال تعالى: ﴿ عنده جنة المأوى ﴾.

خامساً: جنات عدن .

كما قال تعالى: ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾.

أي جنات إقامة، يقال عدن بالمكان إذا أقام به .

سورة الزلزلة

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾.

(إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١)) أي إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً .

(وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢)) أي ألقت ما فيها من الموتى .

(وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣)) أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها .

(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)) أي تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم .

(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)) أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها فلا تعصي لأمره.

(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) أي يرجعون عن موقف الحساب (أشتاتاً) أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد .

(لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)) ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويريهم جزاؤهم موفوراً .

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)) وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أصغر الأشياء وجوزي عليها، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾.

وقال تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾.

وهذا فيه الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً .

الفوائـــد:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢- تكلم الجمادات من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه .

٣- أن كل إنسان سوف يجازى بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

٤- أن الله لا يظلم أحداً.

٥- الترغيب في فعل الخير ولو كان شيئاً قليلاً.

٦- التحذير من فعل الشر ولو كان شيئاً قليلاً.

سورة العاديات

قوله تعالى: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١)﴾.

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)) يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو .

(فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)) (فالموريات) بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار (قدحاً أي تنقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون .

(فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)) يعني الإغارة وقت الصبح .

(فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤)) أي فأثارت الخيل الغبار الكثيف لشدة العدو، وفي مكان معترك الجنود .

(فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)) أي فتوسطن به جموع الأعداء، وأصبحن وسط المعركة .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (أقسم تعالى بالخيل لما فيها من آياته الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق) .

(إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)) أي أنه لنعم ربه لكفور جحود .

(وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧)) اختلف في الضمير (إنه) على ماذا يعود فقيل: يعود على الله، أي أن الله يشهد على العبد بأنه كفور بنعمه وقيل: إنه عائد على الإنسان نفسه، أي أن الإنسان يشهد على نفسه بكفر نعمة الله عليه

والصواب أن الآيه مشتمله لهذا وهذا.

(وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)) أي وإن الإنسان لحب الخير وهو المال (لشديد)

أي كثير الحب للمال .

(أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾) يقول تعالى مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الإنسان من الأهوال (أفلا يعلم) أي هلاّ يعلم هذا المغتر (إذا بعثر ما في القبور) أي أخرج الله الأموات من قبورهم لحشرهم ونشرهم .

(وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾) أي ظهر وبان ما فيها، وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية والباطن ظاهراً، وبات على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم .

(إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾) أي العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة .

الفوائـــد:

١- الترغيب في الجهاد والإعداد له .

٢- أن الإنسان كفور وجحود لربه .

٣- بيـان أن الإنسـان يحب المال حباً شـديداً إلا إذا هذبه بالإيمان وصالح الأعمال .

٤- أن يوم القيامة يظهر ما في الصدور .

٥- إثبات اسم الخبير من أسماء الله، ومعناه :

قال الخطابي: (هو العالم بكُنْه الشيء ، المطلع على حقيقته) .

سورة القارعة

قوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾.

(الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢)) القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها ، ولهذا عظم أمرها وفخمه فقال:

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)) ثم فسره بقوله :

(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)) أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث .

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥)) أي كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفاً جداً تطير به أدنى ريح .

(فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦)) أي رجحت حسناته على سيئاته .

(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧)) في جنات النعيم .

(وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨)) أي رجحت سيئاته على حسناته .

(فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)) قيل: معناه ساقط بأم رأسه في نار جهنم، وقيل: معناه فأمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها هاوية وهي اسم من أسماء النار .

قال ابن جرير: (وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها) .

(وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠)) هذا تعظيم لأمرها ثم فسرها بقوله :

(نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)) أي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا بسبعين ضعفاً.

الفوائـــد:

١– أن القارعة من أسماء يوم القيامة .

أسماء يوم القيامة :

ـ الساعة .

قال تعالى: ﴿إن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾.

ـ يوم البعث .

قال تعالى: ﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ﴾.

ـ يوم الدين .

قال تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾.

ـ يوم الحسرة .

قال تعالى: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾.

ـ يوم التناد .

قال تعالى: ﴿إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾.

ـ يوم الفصل .

قال تعالى: ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾.

ـ يوم الجمع .

قال تعالى: ﴿ وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه﴾.

ـ يوم الحساب .

قال تعالى: ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾.

ـ يوم الوعيد .

قال تعالى: ﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد﴾.

ـ يوم الخلود .

قال تعالى: ﴿ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ﴾.

- يوم الخروج .

قال تعالى: ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾.

- الواقعة .

قال تعالى: ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾.

- الحاقة .

قال تعالى: ﴿ الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة ﴾.

- الطامة الكبرى .

قال تعالى: ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾.

- الصاخة .

قال تعالى: ﴿ فإذا جاءت الصاخة ﴾.

- الآزفة .

قال تعالى: ﴿ أزفت الآزفة ﴾.

- القارعة .

قال تعالى:﴿ القارعة . ما القارعة . وما أدراك ما القارعة ﴾.

٢- بيان شيء من أهوال يوم القيامة .

٣- أن الناس يوم القيامة فريقان، فريق في الجنة وفريق في السعير .

٤- إثبات الميزان لوزن الأعمال .

قال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾.

وقال رسول الله ﷺ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) .

٥- شدة حرارة نار جهنم .



سورة التكاثر

قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾.

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١)) يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، أي صرتم من أهلها .

فالصحيح أن المراد بقوله ﷺ زرتم المقابر أي صرتم إليها ودفنتم فيها .

(كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)) وعيد إثر وعيد، زيادة في الزجر والتهديد، أي سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت وعانيتم أهواله وشدائده .

(كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥)) أي لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون .

(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦)) أي أقسم وأوكد أنكم ستشاهدون الجحيم عياناً ويقيناً .

(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)) أي ثم لترونها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية، كما قال تعالى: ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾.

(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)) الذي ننعم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، أم اغتررتم به ولم تقوموا بشكره؟

الفوائد:

١- التحذير من جمع المال وتكثيره مع عدم شكره .

٢- ينبغي للإنسان استغلال الدنيا بالأعمال الصالحات قبل هجوم الموت عليه .

والإنسان يتمنى العمل الصالح في موقفين:

أولاً: عند الاحتضار .

كما قال تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾.

ثانياً: عند ما يكون في النار .

كما قال تعالى: ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ... ﴾.

٣- أن الإنسان سوف يسأل عن النعم التي أنعم الله بها عليه كنعمة الطعام والشراب والصحة ، ونعمة الأمن، ونعمة المال والجاه والسلطان .

سورة العصر

قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾.

(وَالْعَصْرِ (١)) العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي خسارة وهلاك .

(إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم .

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي يوصي بعضهم بعضاً بذلك ، ويحثه عليه ويرغبه فيه .

(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)) أي الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (فبالأمرين الأولين يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسارة وفاز بالربح العظيم) .

الفوائـــد:

١- فضيلة سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات، ولهذا قال الشافعي: (لو ما أنزل الله على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم).

٢- بيان مصير الإنسان الكافر وأنه الخسران التام .

٣- وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين .



سورة الهمزة

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾.

(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١)) يتوعد ربنا كل من كان خلقه أنه يتكلم ويطعن في الناس سواء بلسانه أو بفعله، الهمز يكون بالفعل، واللمز يكون باللسان.

(الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢)) أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده، فلا همّ لهذا الغماز إلا سواء جمع المال وتعديده وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخير وصلة الأرحام ونحو ذلك .

(يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)) أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر .

(كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤)) (كلا) أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب (لينبذنّ في الحطمة) أي ليلقينّ هذا الذي جمع مالاً فعدده في الحطمة وهي اسم من أسماء النار لأنها تحطم من فيها .

(نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦)) المستعرة المتأججة .

(الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧)) أي تنفذ من الأجسام إلى القلوب، مع :

(إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨)) أي مطبقة محبوسون فيها قد أيسوا من الخروج منها .

(فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)) أي أنهم يعذبون بعمد في النار، ورجحه ابن جرير وقال: (الله أعلم كيفية تعذيبه إياهم بها)

الفوائـــد:

١- التحذير من الغيبة والنميمة .

٢– أن الإنسان مهما جمع من المال فإن هذا المال لا يطيل عمره .

٣– شدة نار جهنم .

كما قال تعالى: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾.

وقال تعالى: ﴿نار حامية﴾.

٤– بيان شدة عذاب النار وفظاعته .

سورة الفيل

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾.

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)) أي ألم يبلغك يا محمد وتعلم علماً يقيناً كأنه مشاهد بالعين، ماذا صنع الله العظيم بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على البيت الحرام .

(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)) هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فما صرف عنهم أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم أنوفهم وخيب سعيهم وأضل أملهم.

(وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣)) (أبابيل) أي جماعات متتابعة بعضها في أثر بعض .

(تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤)) حجارة من طين، لأنه يكون أصلب.

(فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)) أي كزرع دخلته ماشية فأكلت عصفه، أي ورقه وكسرت قائمه وهشمته فكانت آية من آيات الله تعالى.

الفوائـــد :

١- تسلية رسول الله ﷺ عما يلاقيه من ظلم كفار قريش .

٢- تذكير قريش بفعل الله عز وجل تخويفاً لهم وترهيباً .

٣- هزيمة أبرهة وجيشة هزيمة لم يعرف مثلها .

٤- مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه .



سورة قريش

قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾.

(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)) قيل: إن المعنى حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله (لإيلاف قريش) أي لإتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين، وقيل: المراد ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله .

ثم أرشدهم الله إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال :

(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣)) أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً آمناً .

(الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)) أي هذا الإله الذي أطعمهم بعد شدة جوع ، وآمنهم بعد شدة خوف .

قال الشيخ السعدي: (فرغد الرزق والأمن من الخوف من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى) .

الفوائــد:

١- بيان إفضال الله تعالى على قريش وإنعامه عليها .

٢- يشرع تذكير العبد بنعم الله عليه بين يديه حثاً على العبادة .

ومما يدل لذلك:

قوله تعالى :﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك ... ثم قال : فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب﴾.

٣- وجوب عبادة الله وترك عبادة من سواه .

٤- وجوب الشكر على النعم، وشكرها حمد الله عليها والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته .

٥- الإطعام من الجوع والتأمين من الخوف من أعظم النعم .

سورة الماعون

قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) ﴾.

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١)) يقول تعالى: أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب .

(فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)) أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه .

(وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)) ولا يحض ولا يحث غيره على إطعام المسكين ، ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين .

(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)) أي المضيعون لها ، التاركون لوقتها .

(الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦)) أي يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس .

(وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)) أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (أي يمنعون إعطاء الشيء الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية أو الهبة كالإناء والدلو والفأس ونحو ذلك مما جرت العادة ببذله، فهؤلاء ـ لشدة حرصهم ـ يمنعون الماعون فكيف بما هو أكثر منه).

الفوائد:

١- الويل لمن كذب بالدين والجزاء .

٢- التنديد بمن يأكلون أموال اليتامى .

٣- التحذير للذين يتهاونون بالصلاة .

٤- ذم الرياء وأنه محبط للعمل .

بعض الأدلة الواردة في ذم الرياء:

قال تعالى في المنافقين: ﴿ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾.

وقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس... ﴾.

وقال تعالى في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) . رواه مسلم

وقال ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال: الرياء) . رواه أحمد

وقال ﷺ : (من سمّع سمّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به) . متفق عليه.

سورة الكوثر

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾.

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾) أي الخير الكثير، والفضل الغزير الذي من جملته نهر الكوثر في الجنة .

عن أنس رضي الله عنه قال: (أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً فقال: " إنه أنزلت علي سورة آنفاً فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ، فقال : هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ..) رواه مسلم

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾) أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدمت صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية . وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد، من الأضاحي وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به) .

(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴿٣﴾) (شانئك) أي مبغضك وذامك يا محمد هو (الأبتر) المقطوع من كل خير وهو الأذل المنقطع ذكره .

قال ابن عباس ومجاهد: (نزلت في العاص بن وائل) .

الفوائـــد :

١- بيان إكرام الله لرسوله محمد ﷺ .

٢- تأكيد الإخلاص في العبادات كلها لا سيما الصلاة والنحر .



سورة الكافرون

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾.

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١)) هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله :

(قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش .

قيل: من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله أن يتبرأ من دينهم بالكلية .

(لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)) يعني من الأصنام والأنداد .

(وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)) وهو الله وحده لا شريك له، فـ (ما) هنا بمعنى (من) .

(وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤)) أي ولا أعبد عبادتكم، أي لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال :

(وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)) أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم .

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)) كما قال تعالى: ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾.

الفوائـــد :

١- وجوب البراءة من الشرك وأهله .

٢- جاء في الحديث أن من قرأ هذه السورة كتب له براءة من الشرك .

لأن هذه السورة مقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين .

فائدة : تشرع قراءة سورة الكافرون في مواضع :

في ركعتي الفجر، وركعتي الوتر، وركعتي الطواف، وركعتي المغرب .

سورة النصر

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾.

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزلت: إذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله ﷺ: " نعيت إلي نفسي فإني مقبوض في تلك السنة ") . رواه أحمد

وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد أنها أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، وعلى هذا التفسير :

اعلم إنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال :

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)) (فسبح بحمد ربك) أي نزه عن الشريك (واستغفره) أي اطلب منه المغفرة توبة منك إليه .

عن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن) . متفق عليه

قال ابن كثير: (والمراد بالفتح هنا فتح مكة قولاً واحداً) .

الفوائـــد:

١- وجوب الشكر عند تحقق النعمة، ومن ذلك أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح ثمان ركعات .

٢- مشروعية الاستغفار عند الانتهاء من الأعمال، ومن ذلك :

- (أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً) . رواه مسلم

ـ دعاء ختم المجلس وفيه: (أستغفرك وأتوب إليك) .

فـائدة: كـان النبي ﷺ يقـول في ركـوعـه وسـجـوده بعـد نزول هذه السـورة: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) .

سورة المسد

قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا: نعم، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك، فأنزل الله: تبت يدا أبي لهب وتب) . رواه البخاري

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١) أي خسرت وخابت يدا أبي لهب وضل عمله وسعيه (وتب) أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه .

(مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢) ماله الذي كان عنده فأطغاه (وما كسب) يعني ولده .

(سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣) أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد .

(وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤) كانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها أروى بنت أمية، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها على ما هو فيه .

قال الضحاك: (حمالة الحطب: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، { واختار ابن جرير أن معنى حمالة الحطب تمشي بالنميمة }).

(فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥) أي طوق من حديد .

الفوائـــد :

١- بيان حكم الله بهلاك أبي لهب .

٢- لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئـاً من عذاب الله إذا عمل بمساخطة الله وترك مراضيه .

٣- تحريم أذية المؤمنين مطلقاً .

٤- الشهادة لأبي لهب وامرأته بالنار .

سورة الإخلاص

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾.

عن أبي بن كعب: (أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك؟ فأنزل الله: قل هو الله أحد). رواه أحمد

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)) يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل .

(اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)) قال ابن عباس: يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم .

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة .

(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)) اي ليس له جل وعلا مثيل ولا نظير ولا شبيه من أحد من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

الفوائـــد:

١- فضل هذه السورة حيث أنها تعدل ثلث القرآن .

ومعنى أنها ثلث القرآن :

أن القرآن إما خبر عن الله، أو خبر عن المخلوقات، أو أحكام .

وهذه السورة خبر عن الله .

٢- بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى .

كما قال تعالى: ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ﴾.

وقال تعالى : ﴿ إلا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾.

وقال سبحانه : ﴿إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ﴾.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني ﴾.

٣- إثبات اسم الصمد من أسماء الله ، ومعناه :

هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه .

سورة الفلق

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾.

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)) أي قل يا محمد ألتجئ وأعتصم برب الصبح الذي ينفلق عنه الليل .

قال ابن عباس: الفلق : الصبح .

(مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)) أي من شر جميع المخلوقات من الإنس والجن والدواب والهوام ، ومن شر كل مؤذٍ خلقه الله تعالى .

(وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)) أي من شر الليل إذا أظلم واشتد ظلامه .

قال بعض العلماء: وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل لأن في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من مكانها، ويهجم السارق والمكابر، ويقع الحريق ويقل فيه الغوث .

(وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)) أي من شر السواحر اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد التي يعقدنها على السحر .

(وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)) الحاسد: هو الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأشياء، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره وإبطال كيده .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (ويدخل في الحاسد العائن، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع خبيث النفس) .

الفوائـــد:

١- وجوب التعوذ بالله والاستعاذة بجنابه من كل مخوف لا يقدر المرء على

دفعه .

٢- تحريم الحسد قطعياً وهو داء خطير .

والحسد: هو تمني زوال النعمة .

وسائل دفع الحسد عن المحسود:

أولاً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾.

ثانياً: تقوى الله، قال تعالى: ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾.

ثالثاً: التعوذ بالله من شر هذا الحاسد وذلك بقراءة المعوذات .

رابعاً: فراغ قلب المحسود من الاشتغال بالحاسد .

خامساً: الإقبال على الله والإخلاص له .

سادساً: الإحسان إلى الحاسد .

سورة الناس

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾.

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)) هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس .

(مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)) قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سهى وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس .

(الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)) أي الذي يلقي لشدة خبثه في قلوب البشر صنوف الوساوس والأوهام .

(مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)) تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾ .

قال الشيخ السعدي: (والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس).

الفوائد:

١- وجوب الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الإنس والجن .

٢- تقرير ألوهية الله وربوبيته .

٣- أن الله مالك كل شيء .

كما قال تعالى:﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾.

وقال تعالى: ﴿ له الملك وله الحمد﴾.

وقال تعالى: ﴿الملك القدوس . . . ﴾.

٤- بعض شر الشيطان :

من شره: أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح .

ويكفي في شره: أنه أقسم بالله ليقعدن لبني آدم صراطه المستقيم .

ومن شره: أبلغ المكيدة حتى أخرج آدم من الجنة .

ويكفي من شره: أنه تصدى لإبراهيم حتى رماه قومه بالمنجنيق .

ومن شره: أنه إذا نام العبد عقد على رأسه عقداً تمنعه من اليقظة .